

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط 1 : 064097672

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: لسانيات عامة  
بعنوان:

الانسجام في القرآن الكريم  
سورة الفتح أنموذجا

إعداد الطالب (ة) :

• لمونس عبد الحكيم

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ	أرفيس بلخير
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	شبلي خالد
ممتحنا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	بوشلاق حكيمة

السنة الجامعية: 1441هـ - 1442هـ / 2020 - 2021



# شكر و عرفان

{من لم يشكر الناس لم يشكر الله}

أتقدم بالشكر الجزيل إلى سيدي المشرف

"الدكتور شبلي خالد"

جزيل ما قدمه لي طيلة هذه المدة من

علم ونصح وتقدير

ثم إلى كل من مد لي يد العون حتى

يرى هذا البحث النور

إهداء

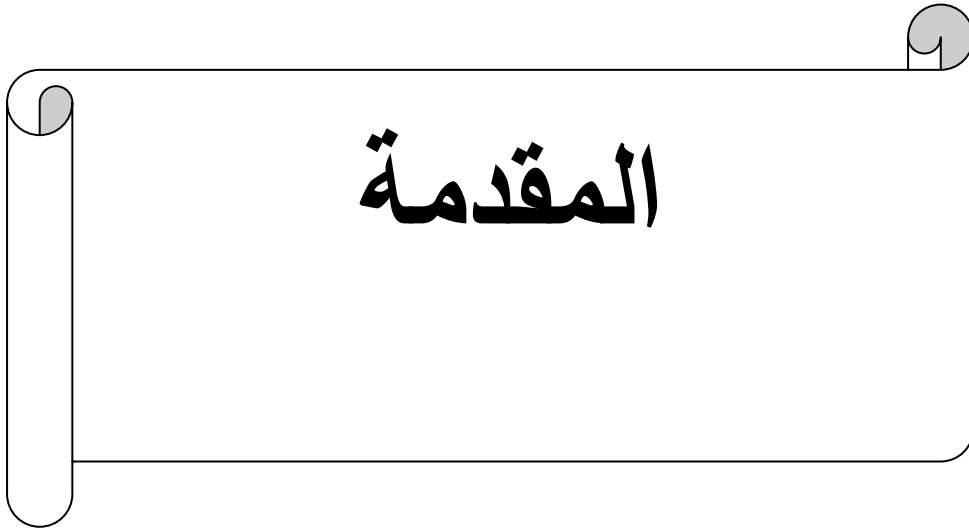
أهدي هذا البحث

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى رفيقة دربي...حبا ووجدانا

إلى صديق عمري...وفاء وإخلاصا

إلى أبنائي الأعزاء محمد الفاتح ..أنفال..تسنيم



## مقدمة

تعد اللسانيات النصية من أحدث العلوم التي أنتجتها اجتهادات اللسانيين في مجال الدراسات النصية في منتصف القرن العشرين، حيث تتكفل بدراسة بنية النصوص وكيفيات اشتغالها، وذلك من منطلق أن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، وإنما هو وحدة لغوية ميزتها الأساسية الاتساق والانسجام، أي أن اللسانيات النصية تجاوزت حدود الجملة إلى بنية لغوية أكبر منها وهي النص، كما أن مفهوم النص يمثل مفهوما محوريا في علوم القرآن والتفسير والفقه والأصول والحديث، وغيرها من فضاءات تراثنا العربي والإسلامي الضخم، والمرتبطة أصلا بالممارسة النصية، وإنّ تغاير المناهج واختلاف التوجهات النقدية في تحليل النصوص ليس في جوهره إلا اختلافًا في تحديد ماهية النص وخصائصه ووظائفه، لذلك فإن محاولة الخوض في دراسة النص القرآني مغامرة تكنفها المزالق من كل صوب، لأن إشكالية النص القرآني تقوم على مفارقة مرتبطة بهوية القرآن ذاته، فهو من جهة نص ناطق بلغة بشرية وجار في أساليبه على السنن العربي في أجلى تمظهراته البيانية، ومن جهة ثانية نص لا يمكن أن يتماهى في مرجعية ذهنية وإبداعية محددة.

ولعل النص القرآني من أهم النصوص التي تستهوي أي باحث للخوض فيه ومعرفة خباياه، فهو يهدف إلى إحداث أثر معتدل في المتلقي وذلك بالاستحواذ على وجدانه، واستدراجه إلى الاقتناع بقيمة دينية أو تبني وجهة أخلاقية، ونحن في بحثنا هذا "الانسجام في القرآن الكريم"-سورة الفتح أنموذجا- حاولنا المزوجة واستثمار ما توصلت إليه اللسانيات النصية في تحليل سورة الفتح، ومن هذا المنطلق تأتي قضية الانسجام في السورة لتستدعي مجموعة من الأسئلة الضرورية، وهي ما يحاول البحث الإجابة عنها، ومن بين هذه الأسئلة:

1- كيف يساهم الانسجام في تحقيق التماسك النصي في سورة الفتح؟

2- هل هناك علاقة قائمة بين المضامين الدلالية والأشكال اللغوية التعبيرية في السورة؟

3- هل تمثل السورة نصا واحدا متسقا ومنسجما؟

وكان اختيارنا للموضوع للأسباب التالية:

1- قلة الدراسات القرآنية التي تناولت موضوع الانسجام في النص القرآني.

2- تطويع الدراسات اللسانية لخدمة القرآن الكريم.

3- مكانة النص القرآني ككتاب مكنون، حاضر في ثقافتنا ووعينا.

أما بالنسبة لاختيارنا المدونة فقد كانت سورة الفتح كافية لإجراء الدراسة عليها، فهي مدونة خصبة ملائمة للبحث لما لها من خصوصيات لغوية ومعاني غزيرة ظاهرة وخفية، فلطالما ساعدنا الاتساق والانسجام على فهم سور القرآن الكريم.

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مدخل وفصلين، جاء كل فصل في ثلاثة مباحث كما يلي:

- المدخل
- الفصل الأول: حدود النص وعلاقاته وأدواته من منظور لسانيات النص
  - ✓ المبحث الأول: النص مفاهيمه ومجاليه
  - ✓ المبحث الثاني: الاتساق مفاهيمه وأدواته
  - ✓ المبحث الثالث: الانسجام النصي: مفاهيمه، أدواته، سياقاته
- الفصل الثاني: الفصل الثاني: التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الاتساق والانسجام

✓ المبحث الأول: بين يدي السورة

✓ المبحث الثاني: التحليل النصي لسورة الفتح من خلال أدوات الاتساق

✓ المبحث الثالث: الانسجام في سورة الفتح.

وقد ختمنا موضوعنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها وحاولنا بلورتها على شكل أفكار بسيطة وواضحة، وقد اتبعنا في بحثنا المنهج الوصفي التحليلي وهو المناسب لمثل هذا الموضوع، وقد اعتمدنا في بحثنا على عدد من المصادر والمراجع نذكر منها: "محمد خطابي" (في لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص)، "صبيح إبراهيم الفقي" (علم اللغة

النصي بين النظرية والتطبيق)، و"تعمان بوقرة" (المصطلحات الأساسية في لسانيات النص)، وتفسير ابن كثير ودلائل الإعجاز للجرجاني وفي ظلال القرآن لسيد قطب وغيرها من المصادر والمراجع.

ولم يخل بحثنا من الصعوبات التي قد تواجه أي باحث أو أي موضوع علمي والصعوبات التي واجهناها تمثلت في:

- 1- قلة المصادر والمراجع التي قاربت القرآن مقارنة لسانية بصفة عامة.
- 2- ضيق الوقت المحدد للبحث الذي لا يسمح لنا بأخذ عناصر البحث بشكل مفصل.
- 3- صعوبة تناول الموضوع نظرا لأن المدونة المختارة له من القرآن الكريم مما لايسمح لنا بإبداء رأينا دون العودة إلى أهل الاختصاص، فما أصعب تناول كلام الله الذي لاينطق عن الهوى.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتوجه إلى أستاذي الفاضل الدكتور خالد شبلي الذي أكد بوافر علمه وواسع حلمه، على روح الأستاذية المتميزة والنادرة، التي أضلنا بها طوال مسيرة البحث إشرافا ومتابعة وتوجيها ودعما، فله مني خالص الشكر والعرفان.

المسيلة في: 23 شوال 1441هـ الموافق لـ 04 جوان 2021م

المدخل

### مدخل : إرهاصات البحث النصي في التراث العربي:

1. يتفق الدارسون على أن مسار الدراسات اللغوية قد تغير مع مطلع القرن العشرين. فإلى جانب الدراسات اللغوية المقارنة ظهرت الدراسات الوصفية التي ميزت درس اللغوي. إذ شكلت اللسانيات المتمثلة في محاضرات ( دي سوسير ( Ferdinand De Saussure) تغيرا واضحا في درس اللغوي وقطية ابستمولوجية في تناول الدراسات اللغوية، وهذه القطيعة لم تكن على مستوى الموضوع ، فحسب بل تعدتها إلى مستوى المنهج، وذلك من خلال محاضرات أملاها على طلابه بين عامي (1907-1913م)، ونشرها طلابه عام (1916).

ومنذ ذلك الحين واللسانيات تشهد تطورا ملحوظا، وذلك عن طريق نشوء فروع علمية مختلفة، فتركت آراء دي سوسير بصمتها الواسعة على درس اللغوي الحديث.

وفي الخمسينات من القرن نفسه وبالضبط سنة 1952 قدم العالم اللغوي هاريس "أول تحليل منهجي للنصوص قائم على اللسانيات الوصفية مثبتا قدرتها على تحليل ما هو أكبر من الجملة، متجاوزا بذلك التقليد الذي أرساه بلومفيلد والمسلم بان النص ليس إلا مظهرا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد"<sup>1</sup>.

وفي سنة (1971) نشر فان دايك (Van Dijk) مقالا بعنوان ( جوانب في نحو النص)، تلاه بعد ذلك كتابه "بعض مظاهر نحو النص"، إذ يعد هذا الكتاب ثورة ابستمولوجية على النحو التقليدي، ودعا فيه إلى نهج طرق جديدة في تحليل النصوص، والتعامل معها على أنها بنية كبرى.

إلى أن نضج البحث النصي على يد هليداي، المؤسس الثاني لمدرسة لندن بمعية رقية حسن، وكونا معا فرقة اهتمت اهتماما بالغا بتحليل النصوص، وقدمتا بعد ذلك دراستهما التي نالت شهرة عظيمة، وكان ذلك سنة (1976)

<sup>1</sup> ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة لمصرية العالمية للنشر، لونغمان، القاهرة، 1997، ص19.

وأصدرا بذلك كتابا مشتركا بعنوان " (الاتساق في الانجليزية) لبحث وسائل الربط التي تتجاوز مستوى الجملة، تطبيقا على اللغة الانجليزية"<sup>1</sup> لأن الجملة في نظرهما لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، فقد حاولا من خلال هذا التحليل اللساني النصي، تجاوز الجملة والبحث في العلاقات التي تربط بين الوحدات الصغرى (الجملة)، لتكوين وحدة كبرى و أكبر وأشمل وهي (النص).

### 2. مفهوم اللسانيات النصية :

اختلف اللسانيون حول تحديد مفهوم لسانيات النص، إذ تعددت مفاهيمها بتعدد دارسيها، فكل نظر إليها من زاويته، والمشكل قائم في ترجمة المصطلح، إذ تترجم إلى الإنجليزية بـ ( Text (Linguistics) أو (Linguistics Grammar Text) وفي الفرنسية (Science de Text) وليس الاختلاف في التسمية عند الغرب فحسب؛ بل تعداه ليختلف في تسميته العرب أيضا، فمنهم م أطلق عليه اسم نحو النص<sup>2</sup> ، ومنهم من أطلق عليه علم اللغة<sup>3</sup> ، ومن التسميات أيضا: علم لغة النص، نظرية النص، علم اللغة النصي، "لسانيا النص" لسانيات الخطاب<sup>4</sup> رغم الاختلاف والتعدد في مفهوم المصطلح، إلا أن هناك رابطا يجمع بين هذه التعريفات، ويصهرها في بوتقة واحدة، وهذا الرابط هو كون موضوعها واحدا ألا وهو اللغة، ف"اللسانيات النصية فرع منفروع اللسانيات يعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه ومحتواه التواصلية"

ويعرفها صبحي الفقي بقوله " علم اللغة النصي - فيما نرى- هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله ، وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي

<sup>1</sup> عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009، ص.ح. (مقدمة الكتاب)

<sup>2</sup> جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص.66.

<sup>3</sup> محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.

<sup>4</sup> محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص.5.

ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن المنطوق والمكتوب على حد سواء<sup>1</sup>

هذا التعريف يتجاوز النظرة التقليدية في دراسة الجملة وتتعداها، فالجملة "لا تقدم سوى الضئيل بالنسبة لما يقدمه النص، فما الجملة إلا جزء صغير بالقياس بالنص، وما يقدمه النص يمثل المعنى الكلي، على حين الذي تقدمه الجملة يمثل جزءا فقط من المعنى العام"<sup>2</sup> ويؤكد صبحي إبراهيم الفقي وظيفة هذا العلم الجديد ومهمته فيقول: "وظيفة علم اللغة النصي تنحصر في أمرين أساسيين هما :

أولاً : الوصف النصي T.Description

ثانياً : التحليل النصي T.Analsis

وجدير بالذكر أن المنطلق في تحديد هاتين الوظيفتين هو أنه لا يمكن البداية بالتحليل دون الوصف، فيجب إذن توضيح مكونات النص ابتداء من الجملة الأولى، ثم بيان الموضوعات التي تناولها النص، وإدراج الدراسة الإحصائية تحت إطار الوصف من حيث بيان الروابط الموجودة بالنص<sup>3</sup>

ويوجز الفقي مهمة لسانيات النص في النقاط التالية :

أولاً: إحصاء الأدوات والروابط التي تساهم في التحليل.

ثانياً: وصف أشكال النصوص، وموضوعاتها، ووصف هذ الذوات والروابط.

ثالثاً: التحليل من خلال إبراز دور هذه الروابط في تحقيق تماسك النصوص، مع الاهتمام

بالسياق والتواصل<sup>4</sup>

### 1.2 النص (Text) :

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ط1، دار قباء للنشر والتوزيع والطبع، مصر، 2000، ص36.  
<sup>2</sup> المرجع السابق، ص49.  
<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص55.  
<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص56.

لم يستعمل العرب مصطلح النص إلا مع القرآن الكريم، وهذه أولى مظاهر الممارسة "وتتمثل في الوقوف "النص في ذاتيته النصية" بتعبير بارت (Roland Barthes) ، فذاتية النص تجلبها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاما يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف"<sup>1</sup> وغياب هذا المصطلح لا يعني عدم معرفة العرب له أو عدم وجود جذور له في العربية، فقد تناول العرب النص ومارسوه وغنوا عندهم المنهج المتبع، فالتعريف غائب ولكن ممارسته حاضرة م خلال كتب البلاغة التي تناولت الإعجاز.

والمأمل في النصوص الأصولية و الفقهية يجد كثرة استخدام كلمة "نص"، غير أننا لا نكاد نجد تعريفا جامعا لهذا المصطلح، ويعتبر منذر عياشي "غيبية التعريف" مدعاة للحيرة<sup>2</sup>. فالنص مختلفٌ حول تعريفه، وهذا راجع لتعدد معايير التعريف ومنطقاته واتجاهاته، حتى ظن بعض الباحثين أن التعريفات تتناقض بعضها بعضا، وهذا ما لا يصح قوله، كون معظم التعريفات تسير نحو التكامل، ولعل السبب الرئيس في اختلاف الباحثين في تقديم تعريف موحد للنص هو اتساع النص ذاته.

### 1.3 الاتساق (Cohésion):

ورد هذا المصطلح في تراثنا العربي باسم السبك خاصة عند الجاحظ في تعريفه للشعر ، كما نجد أن المصطلحات الأجنبية (Cohesion.Coherence.Cohesive) تستخدم بمعنى التماسك، واختلف في ترجمتها، فترجم Cohesion على أنه السبك (الاتساق)، وترجم Coherence على أنه الحبك (الانسجام)، والملاحظ أن هاتين اللفظتين تردان عند اللسانيين الغربيين بالمعنى نفسه.

والاتساق هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص، وهذا التماسك يتأتى من خلال وسائل لغوية تصل بين العناصر المشكلة للنص، وهذه الوسائل تحقق النصية، بحيث

<sup>1</sup> منذر عياشي، النص ممارساته و تجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع/96-97، 1992، ص53.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص55.

تسهم في وحدة النص الشاملة<sup>1</sup> ، وتجعل منه نصا، ونعني به الكيفية التي التي يحدث بها التماسك النصي بترباط عناصره، وهذا مفهوم دلالي يحيل الى العلاقات المعنوية داخل النص، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النصانية، ويشمل مفهوم الاتساق هذا عددا من المنسقات كإحالات إلى الضمائر، والإشارة والحذف والاستبدال والوصل والاتساق المعجمي<sup>2</sup> ونعني به أيضا الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في بنية النص الظاهرة أي البنية السطحية، ويكون الاتساق بنوعيه النحوي وذلك عن طريق التشكيل النحوي للجمل وما يتعلق بها من إحالة وحذف واستبدال وغير ذلك، أما المعجمي فيكون عن طريق التكرار والمصاحبة المعجمية .

وقد تعددت آراء العلماء حول هذه الوسائل أيها يحقق التماسك والترابط، لكن رغم الاختلاف في حصر هذه الوسائل إلا أن جل النصانيين يحددون بعض الوسائل التي يشترك فيها الجميع، ولعل أهم من أدلى بدلوه في هذا المجال هاليدي (HALLIDAY) ورقية حسن وأدرجا ذلك في مؤلفهما الاتساق في الانجليزية " Cohesion in English " ولا يتحقق التماسك والتعلق عندهما إلا بوجود خمسة وسائل لتكون كلاً متلاحما وهي :

1. الإحالة Réference

2. الاستبدال Substitution

3. الحذف Ellipsis

4. الوصل Conjunction

5. الاتساق المعجمي Lexical Cohesion

غير أن هاليدي (HALLIDAY)) في مؤلفه اللاحق اقتصر على أربعة وسائل فقط، وعند شرحه لهذه الوسائل أدرج الإبدال مع الحذف إذ يقول " هناك أربع طرق للتماسك في خلق اللغة الإنجليزية من قبل الوصل والإحالة والحذف والمعجمية<sup>1</sup> "

### 3.3 الانسجام (Cohérence):

<sup>1</sup> محمد خطابي، لسانيات النص، مرجع سابق، ص13.  
<sup>2</sup> يحي عبابنة، أمانة الزعبي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد (2+1) 2013.

البحث في كيفية تماسك النص لا يقتصر على دراسة وسائل الربط اللفظي، بل يتعداه إلى دراسة وسائل أخرى للتماسك، تتجاوز الوسائل الصوتية، والمعجمية، والنحوية إلى مستويات أعلى من التحليل كالمستوى الدلالي، والبرجماتي أو ما يطلق عليه " دي بوجراند " و " دريسلر " مصطلح (Cohérence) وهو أحد المعايير السبعة للتصية<sup>2</sup> فالانسجام النصي أحد أهم المعايير الديوجراندية التي تحقق استمرارية النصوص، وهو يهتم ببيان الترابط المفهومي في النص، أي إيضاح العلاقات الدلالية التي يربط معاني الأقوال. وتكمن أهمية هذا المعيار من حيث بناء النص بناء محكما متماسكا مترابطا. ترجم مصطلح الانسجام عند كثير من اللسانيين إلى مصطلحات كثيرة، هذا ما يجعلنا نصطدم بإشكالية في توحيد المصطلح في الاستعمال اللساني، إذ أصبح الدارس للسانيات النص في غالب الأحيان يعجز عن التفريق بينهما، لكثرة استعماله بدلالات مختلفة، إلا أنه في المقابل يكثر استعماله بمصطلح الحبكة وقد تبني هذا المصطلح سعد مصلوح ومحمد العبد<sup>3</sup> وقد أقر سبب اختياره لفظ الحبكة كونه يتسم بالإفصاح والابانة والتساق، كما أنه أقرب شيء إلى المفهوم المراد أكثر شيوعا، كذلك نجد أحمد عفيفي يترجم هذا المصطلح ويشير به التماسك الدلالي أو المعنوي<sup>4</sup> ، أمام حسان فقد فضل الالتحام<sup>5</sup> ، وترجمه أبو غزالة وحمد خليل<sup>6</sup> ، كما ترجمه فالح العجمي بالتساق<sup>7</sup> ، وأطلق عليه ابراهيم محمود خليل الاقتران<sup>8</sup> ، ومنهم من يطلق عليه لفظ التماسك كسعيد بحيري<sup>9</sup> وأطلق عليه محمد خطابي وصلاح فضل الانسجام<sup>10</sup> ، ولم يفرق كثير منهم بين مصطلح الاتساق والانسجام فهو

<sup>1</sup> there are four ways by which cohesion is created in English

<sup>2</sup> عزة شبل محمد، مرجع سابق، ص 481.

<sup>3</sup> سعد مصلوح، نحو أوروبية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 16، عدد 1، 1997، ص 154 و ص 287.

<sup>4</sup> صبحي ابراهيم الفقي، مرجع سابق، ص 96.

<sup>5</sup> روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسان ، الناشر عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998، ص 103.

<sup>6</sup> روبرت ديواند ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، الهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكتب، مصر، القاهرة، 1413هـ - 1992 م، ص 11.

<sup>7</sup> فولفجانغ هاينه من ويتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، الرياض، 1419هـ- 1999، ص 141.

<sup>8</sup> ابراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط3، عمان، الأردن، 2015، ص 221.

<sup>9</sup> سعيد بحيري، مرجع سابق، ص 108.

<sup>10</sup> محمد خطابي، مرجع سابق، ص 5. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (164) صفر 1413هـ، أغسطس 1992م، ص 63-264 و 236.

عند بعضهم بمنزلة واحدة<sup>1</sup> نظرا للتداخل الكبير بينهما، غير أن الصواب أن الاتساق يتعلق بأدوات كالأحالة والاستبدال .... ، بينما الانسجام يتعلق بمجموعة من الآليات والعلاقات الدلالية تعمل على تحقيق الانسجام بين تلك العناصر، وقد آثرنا استخدام الانسجام لشيوعه عند كثير من اللسانيين.

ورد الانسجام في الدراسات العربية البلاغية بمصطلحات كثيرة، ويطلق عليه عند كثير منهم بالتّرابط والتّلاحم والحبك وغير ذلك مما له علاقة بالنص، وبينوا كيف تترابط النصوص وتتألف مكونة نصا، غير أنهم لم يكونوا على قدر من الضبط النظرية لغوية تعني بالنصوص، فكانت آراؤهم مبثوثة هنا وهناك، وركزت دراساتهم على المستوى المعجمي والبحث عن معنى اللفظة ومرادفاتها، وكانت في الغالب صونا للسان من الوقوع في الخطأ، وحفاظا على النطق العربي نطقا سليما، وحماية للغة من الضياع والاندثار، لكن حاجتهم لتفسير النصوص ألزمهم البحث عن طرق وكيفيات تساعدهم على ذلك .

إنّ الدراسات البلاغية العربية القديمة لم تتجاوز المستوى التركيبي " إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتتالية النصّية، فضلا عن أنّه لم يشمل نصّا تاما في البلاغة القديمة"<sup>1</sup>، بينما يقوم تحليل النصوص على بناء فقرة منه أو يشمل النصّ كله، ودراساتهم لم تزق إلى معالجة النص معالجة شاملة بوصفه وحدة كليّة، إلا أنّ هناك بعض الجهود العربية لتناول مثل هذه المباحث كالاتساق والانسجام في التراث العربي ليس بنفس المصطلح والتسمية لكن بنفس المعنى والوظيفة ومنهم:

### 1.3.3 الجاحظ:

تحدث الجاحظ عن أهمية الانسجام من حيث بناء القصيدة بناء محكما ومتماسكا، ويؤكد القيمة الجمالية للانسجام فيقول: " أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا. فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان ... وكذلك

<sup>1</sup> من بين اللسانيات الذين يجعلون الاتساق والانسجام بمنزلة واحدة محمد مفتاح. ينظر: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 1992، ص100.

حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر تراها ملساء، ولينة المعاطف، سهلة خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد<sup>2</sup> فالانسجام عند الجاحظ يقوم على ربط أجزاء القصيدة بعضها ببعض، فتكون الالفاظ ملازمة للمعاني منصهرة في بوتقة واحدة، فتكون القصيدة كالبيت، والبيت ككلمة واحدة، والكلمة كالحرف، فارتباطها بعضها بعضا جعل منها كلاً يصعب الفصل بين أجزائه، وهذا ما سماه النصانيون الوحدة الكلية المترابطة الأجزاء .

ثم يواصل حديثه فيقول: "ولكنّ القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر، ولم تجري مجرى النوادر، ومتى لم يخرج يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك عنده موقع"<sup>3</sup> ويعني الجاحظ بالأمثال المعاني المكرورة، وقد عاب على كثي من الشعراء هذا الصنيع، لأنه يحدّ من القيمة الجمالية للنص، ويفقد التلاحم بين أجزائه، فإذا كان عكس ذلك فإنه يجعل أجزاء الكلام بعضها متما لبعض فيكون النص محكما متلاحم الأجزاء وقد أدرك الجاحظ أهمية هذا من حيث الترابط والتآلف لكل عنصر من عناصر النص.

### 2.3.3 الجرجاني:

لا يمكن إنكار جهود الجرجاني في نظرية النظم التي تناولها في كتابه دلائل الإعجاز حيث تُعدّ النظرية أولى بؤادر البحث اللغوي الذي استقى منه اللغويون الغرب كثيرا من دراساتهم وبحوثهم ومنطلقاتهم الفكرية وهذا التقاطع والتشابه ليس وليد الصدفة بل هو نتيجة لجهود كبيرة أطلقها الغربيون لينهلوا من الثقافة العربية بعد احتكاكهم بها .

والنظم عند الجرجاني هو " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت

<sup>1</sup> صلاح فضل، مرجع سابق، ص 244.

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي - القاهرة - ط5، 1985 م، ج 1، ص 67.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 206.

لك، فلا تخلو بشيء منها<sup>1</sup> ، فالنظم هنا طريقة تركيب الجمل السليمة بواسطتها يُتوصل الى التعبير الصحيح عن المعاني وتمييز الجيد من غيره، بالاعتماد على كلام العرب وأشعارهم.

ومن خلال معالجته لمفهوم النظم في " دلائل الإعجاز" يبين الجرجاني أن الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ديني بحث، يعتمد على إثبات جودة النظم في القرآن، ويسميه " المزية " وأكد أن جودة النظم يمكن أن تلو فوق قدرة البشر، إذ يقول " وذلك أنه لا يثبت إعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر وتقتصر قوى نظرهم عنها"<sup>2</sup>

مما سبق ذكره يتضح، يتضح لنا أن الانسجام قد وجد في الدراسات العربية القديمة ، حتى وإن اختلفت التسمية فالمضمون واحد، فالتراث اللغوي والبلاغي والنقدي مليئ بمثل هذه المفاهيم، التي أرسى دعائمها النحويون والبلاغيون والنقاد العرب في الكشف عن كثير من القضايا اللسانية الحديثة.

**4. المناسبة :** يذكر لنا السيوطي فائدة المناسبة أي مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها، وكذا الصورة، فيقول : " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فبقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"<sup>3</sup>.

ويضيف في موضع آخر" وقال الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع مفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جمّ وهكذا في السور وجه اتصالها بما قبلها وما سيقف له انتهى"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت، 1981م، ص81.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص249.

<sup>3</sup> أبو بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394، هـ- 1974م، ج3 ص372 و371.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص369 و370.

وعلاقة المناسبة بانسجام النصوص كونها وسيلة من وسائله، وبها يتحقق الانسجام والتوافق الشكلي والدلالي بين الجمل وأجزاء النص ، أما عن الهدف من الدراسات اللغوية العربية فهو ضبط اللسان من اللحن والحفاظ على النطق السليم ومراعاة البلاغة والبحث في فصاحة الألفاظ والكشف عن جودة هذه الألفاظ وكشف عربيتهما وصحتها من زيفها وما ذكره السيوطي تناوله اللغويون في العصر الحديث، وهدفهم من دراساتهم إيجاد آليات تجعل النص متماسكا .

كما تناول حازم القرطاجني المناسبة بالشرح والتفصيل في مؤلفه منهج البلغاء وتحدث عن أوليات الدرس اللساني العربي خاصة ما يتعلق بالتماسك النصي، أو التناسب بين الأغراض والأوزان وبين حالة الشاعر النفسية وبين ما ينظمه من شعر، كما تحدث عن أشكال الترابط المعنوي ضمن أجزاء النص واستخدام عدة مصطلحات تقترب من مفهوم الانسجام كالتناسب والاقتران الذي يعد مطابقا للمفهوم الحديث للانسجام .

يقول عنها القرطاجني معلقا على إحدى قصائد المتنبي: "فاطرده له الكلام في جميع أحسن اطراد وانتقل في جميع ذلك من الشيء، إلى ما يناسبه، و إلى ما هو منه بسبب، ويجمعه إياه غرض فكان الكلام بذلك مرتبا أحسن ترتيب، ومفصلا احسن تفصيل و موضوعا بعضه من بعض أحكم وضع، فعلى هذا النحو يجب أن تكون المآخذ في استفتاحات الفصول ووضع بعضها من بعض"

مما سبق ذكره، يتضح لنا أن الانسجام قد وجد في الدراسات العربية القديمة، حتى و غن اختلفت التسمية فالمضمون واحد، فالتراث اللغوي والبلاغي والنقدي مليء بمثل هذه المفاهيم، التي أرسى دعائمها النحويون والبلاغيون والنقاد العرب في الكشف عن كثير من القضايا اللسانية الحديثة، ولا يمكن الحديث عن المباحث اللسانية الحديثة دون العودة إلى التراث العربي، الذي أكد فيه البلاغيون العرب أن النص يجب أن يكون كلا موحدًا متماسك الأجزاء، جود السبك، وحددوا بعض القواعد التي تحكم تماسك النص، اعتمد عليها النصابيون الغرب في إنشاء نظريات لسانية ذات أصول عربية، فالعرب وإن كان لهم سبق إلا أنهم كانوا يفتقرون

إلى المنهج، فقد كانت أفكارهم مبنوثة في بطون الكتب النحوية والبلاغية والنقدية، وعليه وجب استثمار تلك الآراء المبنوثة في الكتب لإغناء اللسانيات العربية الحديثة .

فمعظم الدراسات التي قام بها العرب في شتى المجالات تعتمد على الوصف الذي يعد أهم ما يميز الدراسات الغربية الحديثة، هذه الدراسات لو تم دراستها دراسة دقيقة من طرف الغربيين لاختصروا المسافات ولما وقعوا في كثير من الزلات .

### 5.السياق (Contexte) :

يعتبر السياق أهم الآليات المحققة للانسجام، فيه يُكشف الغموض واللبس في النصوص، وقد اهتم اللغويون الغربيون بدراسته وأسسوا له مدارس خاصة كفيرث (Firth) ، صاحب نظرية السياق<sup>1</sup> ، وهي من النظريات الحديثة وتعنى بدراسة المعنى عن طريق توظيف كل ما يحيط بالموقف الكلامي من قرائن لفظية وحالية ومقامية، فهذه النظرية إن كانت حديثة إلا أن لها جذورا في الدرس العربي النحوي والبلاغي و الأصولي .

وللسياق ألفاظ كثيرة تؤدي المعنى نفسه، كالمقام، ومقتضى الحال، والقرينة، وكل هذا التنوع والتفاوت تؤدي فيه الألفاظ والمصطلحات المعنى نفسه، والحديث عن السياق في المعاجم العربية يقودنا للحديث عن المعاني المختلفة للسياق، لما لهذا اللفظ من معان متعددة بعيدة كل البعد عن التعريف اللساني الحديث، لهذا ارتأينا أن نبدأ بالتعريف الذي وضعه الزمخشري في مؤلفه أساس البلاغة، حيث قال : "وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و"إليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سؤقه: على سرده"<sup>2</sup>، فالزمخشري استعمل معنى مختلفا للسياق الذي نحن بصدد دراسته، فالسياق هنا ترتبط بكل حديث كلامي، أي أثناء التداول .

يرى الجرجاني بأنه ليس للألفاظ مزية وهي منفردة ولا تعرف دلالتها إلا من خلال سياقها، إذ "إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة، وإن الألفاظ

<sup>1</sup> قسم فيرث السياق إلى : سياق لغوي، وسياق الموقف، وسياق عاطفي، وسياق ثقافي.  
<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعرفة، بيروت، ص225.

تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"<sup>1</sup> .

نلاحظ من خلال تعريف الجرجاني أنه حصر مصطلح السياق في مجال الجملة أو الكلمة المفردة وائتلافها مع لا حققتها ولم يتطرق إلى مصطلح السياق وعلاقته بالنص، لكن مهما يكن، فإن التعريف لم يتناول الاعتبارات المقامية أو المعرفية، فرغم كثرة المصطلحات الدالة عليه إلا أنها متقاربة في المعنى في معظمها، فليس معنى السياق وليد الدراسات الغربية الحديثة، بل هو متجذر في كتب التراث. ولعل قول القرطاجني خير دليل على ذلك إذ يقول: " واحسن مواقع التخيل أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخيل الأمور السارة في التهناني والأمور المفجعة في المرثي، فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخيل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاه، و يحسن موقع التخيل من النفس أن يتراعى بالكلام إلى أنحاء من التعجب فيقوى بذلك تأثر النفس لمقتضى الكلام"<sup>2</sup> .

### 6. القصدية (Intentionalié) :

يعرف محمد مفتاح القصدية بأنها " ما يكمن ويحكم من معتقدات و مقاصد وأهداف ...فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة ، وبناءً على هذا، فإنه ينحل من هذا القول ثلاثة عناصر أساسية هي المخاطب و المخاطب وظروف التنزيل أو ما عبر عنه الشاطبي بظروف التنزيل" .

ونعني بالقصدية موقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومتربط ، لكي يتم الوصول إلى هدف مرسوم في خطة محددة ، بمعنى آخر أن النص ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقا مترابطا من أجل تحقيق هدف محدد .

وقد ورد هذا المفهوم عند حازم القرطاجني الذي يرى أن " القصد مرادف للغرض ، فعند حديثه عن مطالع القصائد الشعرية" فملاك الأمر في كل ذلك أن يكون المفتاح مناسباً لمقصد

<sup>1</sup> الجرجاني ، مرجع سابق، ص46.

<sup>2</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص90.

المتكلم من جميع جهاته فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه ان يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم ، وإذا كان المقصد النسب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة ، وكذلك سائر المقاصد<sup>1</sup>

فقد نشأت دراسات اللفة في أول ظهورها عند العرب نشأة وصفية رغم أن الكثير من اللسانيين يعتقدون أن الطريقة الوحيدة لدراسة اللغة هي اعتماد المنهج التاريخي، فتاريخ دراسة اللغة ليعرض علينا في بدايته محاولة جديدة انشاء منهج وصفي في دراسة اللغة يقوم على جمع المادة وروايتها ثم ملاحظة المادة المجموعة واستقراءها والخروج بعد ذلك بنتائج لها طبيعة الوصف اللغوي السليم<sup>2</sup>

مما سبق يظهر لنا أن المصطلحات اللسانية الغربية الحديثة موجودة في تراثنا على اختلاف استعمالاتها وتوظيفها، فوظيفة اللساني هي إعداد أنظمة وقواعد للسان المدروس أو صياغته سوريا ، فكذا كان عمل النحوي والبلاغي والمفسر والأصولي، ولا يمكن الحديث عن المباحث اللسانية الحديثة دون العودة إلى التراث العربي، الذي أكد فيه البلاغيون العرب أن النص يجب أن يكون كلا موحدًا متماسك الأجزاء، جود السبك، وحددوا بعض القواعد التي تحكم تماسك النص، اعتمد عليها النصانيون الغرب في إنشاء نظريات لسانية ذات أصول عربية، فالعرب كان لهم السبق إلا أنهم

كانوا يفتقرون للمنهج، فقد كانت أفكارهم مبنوثة في بطون الكتب النحوية والبلاغية والنقدية، وعليه وجب استثمار تلك الآراء المبنوثة في الكتب لإغناء اللسانيات العربية الحديثة، ومن هنا نقول بأن التفكير اللساني أو المفاهيم اللسانية النصية موجودة في تراثنا ويمكن لنا أن ننشئ من خلالها ما يمكن أن يماثل اللسانيات النصية الغربية الحديثة .

<sup>1</sup> حازم القرطاجني، مرجع سابق، ص279.

<sup>2</sup> تمام حسان و اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2001، ص22-23.

# الفصل الأول

حدود النص وعلاقاته وأدواته من منظور

لسانيات النص

المبحث الأول

النص مفاهيمه ومجالاته

## الفصل الأول: حدود النص وعلاقاته وأدواته من منظور لسانيات النص

### المبحث الأول: النص مفاهيمه ومجاله:

لا يستقيم الحديث على الاتساق والانسجام، وما اتصل به هذين المفهومين من آليات وأدوات، دون الإشارة إلى أننا نتحدث عنها في إطار النص، الذي يعتبر الوحدة الأساسية للتحليل في دراسات لسانيات النص، فلا بدّ لدراسة أي موضوع من أن نضبط مجاله الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها " ومن الملاحظة بوجه عام أن هذا الاتجاه - لسانيات النص - قد أثار نقداً شديداً، وخلافاً كبيراً بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علماً من العلوم مثلما هو الحال بالنسبة لهذا العلم، حيث إنه حتى الآن وبعد ما يربو عن ثلاث عقود على نشأته الفعلية، لم تحدد بدرجة كافية، بل إنه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين، وفروع علمية غاية في الاختلاف، ونتيجة لذلك فإنه لا يوجد حول مقالاته وتصورات ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين، إلا بقدر ضئيل للغاية، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى"<sup>1</sup>.

وجدير بالذكر أن أمر عدم الاستقرار على التعريف بالمصطلحات أمر طبيعي، ولا يختص به مصطلح (النص)، بل إن هذه الظاهرة موجودة في العديد من العلوم خاصة في بداية نشأتها ولكي نتجنب هذا التدخل والاختلاط، كان لزاماً علينا أن نحدد المفهوم المعجمي، وكذلك الاصطلاحي للنص، حتى نستطيع من خلال نحدد دراستنا التي نحن بصددتها.

### 1. مفهوم النص:

تعددت مفاهيم النص واتسعت بين الباحثين كلّ حسب منطلقاته وآرائه .

#### أ- لغة :

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، مرجع سابق، ص 105.

جاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي : " النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه وكل ما أظهر فقد نصّ...يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه وكذلك نصته إليه، ونصت الظبيّة جيدها : رفعته ووضع على المنصّة ... أي غاية الفصيحة والشهرة والوضوح والحك، ولهذا قيل : نصّصت الشيء : رفعته ومنه منصّة العروس واصل النص أقصى الشيء وغايته ثم سميّ به ضرب من السير ... ونصّ كل منتهاه"<sup>1</sup>

### ب- اصطلاحاً:

مرادف لمفوظ، أي كمتوالية لغوية مستقلة، أكانت شفوية أو مكتوبة أنتجها متلفظ واحد أو عدة متلفظين في سياق تبليغي اتصال معين<sup>2</sup>.

وفي هذا التعريف يقابلنا أشكال ديمومة النص المكتوب وكيفية تدوين النبر \* والتتغيم \*\*..في الشفوي .

وتعرفه جوليا كريستيفا (Julya cristiva) على أنه " جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصل يهدف إلى الأخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه والمتزامنة معه، فالنص انتاجية"<sup>3</sup>.

والنص بذلك يعتبر عملية انتاجية تعني أمرين: الأول: علاقته باللغة التي يتموقع فيها، إن تصبح قبيل إعاقة التوزيع وبالتالي قابلاً للتناول عبر المقولات اللغوية، أما الثاني: يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى، أي عملية تناص<sup>4</sup>، وهذا التعريف يقيم تصورا من منظور البحوث البنوية والسيمولوجية .

أما نعمان بوقرة فيعرفه بأنه " وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية، ومعنى ذلك أن النص

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي لكبير و آخرون، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا، دار المعرفة، القاهرة، 1919، ص 4441.

<sup>2</sup> دومينيك مانجو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحيى، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، 2008، ص 127.

<sup>3</sup> جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997، ص 21.

<sup>4</sup> صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 122-127.

وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها " <sup>1</sup>، ومنه نستخلص أن النص يتجدد من خلال الوظيفة التي يؤديها، وهذا رغم تعدد الأشكال التي عليها فقد يكون النص في الإيقاع الموسيقي أو المشهد التمثيلي كما أقر ذلك رولان بارت إضافة إلى تمثل النص في كلمة كإشارات المرور أو في الجملة .

النص يستجيب لمعايير مترابطة متمثلة في: الاتساق ( cohésion ) الانسجام ( cohérence ) القصديّة ( intentionnalité )، الاستحسان ( acceptabilité ) والتناصية ( intertextualité ) وكذا معيار الاخبارية والمقامية ( informativité )<sup>2</sup>.

## 2- تعريف لسانيات النص:

يقصد به التخصص الذي موضوعه النصيّة ( textualité ) أي خصائص الاتساق والانسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل للجمل<sup>3</sup>.

ويعرفه صبحي ابراهيم الفقي بأنه فرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط والتماسك وسائله، أنواعه، والإحالة المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق والمكتوب على حد سواء<sup>4</sup>، هذا يعني أن لسانيات النص تهتم بالمضمون من خلال إبراز وسائل التماسك النصي من الإحالة القبلية والبعديّة وأدوات الربط والوصل، ودور كل من المرسل والمرسل إليه في النص بنوعيه المنطوق والمكتوب.

## 3. مفهوم الخطاب:

عرف هاريس الخطاب بأنه "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر في مجال لساني محض"<sup>5</sup>.

## 4. الفرق بين النص والخطاب:

<sup>1</sup> نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، 2008 ص 127.

<sup>2</sup> دومينيك مانجو، مرجع سابق، ص 127-128.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 129.

<sup>4</sup> صبحي ابراهيم الفقي، مرجع سابق، ص 29.

<sup>5</sup> سعيد يقطين، تحليل الروائي (الزمن، السرد، التنبير)، ط3، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997 .

هناك من الدارسين من جعل مصطلح " الخطاب " مرادف لمصطلح " النص " ومن هؤلاء نجد:

محمد خطابي، ومن ذلك قوله: " كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص / الخطاب المعنى اللغوي بصفة عامة يشكل كلاً متخذاً "1.

يشير غريماس (Grimas) إلى أنهما يستعملان للدلالة " على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام والطقوسات المختلفة والقصص المرسومة "2.

يتضح من خلال هذا التعريف أن الاختلاف بينهما يمس شكل المضمون الذي يؤديه هذا المصطلح في حد ذاته.

أما اللساني "ميشال آدم" (M.Adem) فقد ميز بينهما بالشكل الرياضي التالي:

الخطاب = النص + ظروف الإنتاج

النص = الخطاب - ظروف الإنتاج3.

مصطلح الخطاب متعدد المعاني، فهو وحدة تواصلية إبلاغية ناتجة عن مخاطب معين وموجهة إلى مرسل إليه في مقام وسياق معين. ويفترض الخطاب وجود سامع يتلقى الخطاب، بينما يتوجه النص إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق عملية القراءة، أي أن الخطاب نشاط تواصلية يتأسس أولاً على اللغة المنطوقة، بينما يعد النص مدونة مكتوبة4.

ويدخل في الخطاب: الكلام والمتكلم والمتلقي والبيئة والسياق وأساليب الخطاب.

ومنه نستخلص أن النص كيان لغوي مجرد، والخطاب يرتبط بالإنجاز وظروف إنتاجه.

1 محمد خطابي، مرجع سابق، ص5.

2 رشيد عزي، إشكاليات المصطلح في المؤلفات العربية، تحليل الخطاب أنموذجاً، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير جامعة بويرة 2008/2009 ص 42.

3 جمال حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1، موقع الألوكة، 2005، ص8.

4 نوال بومعزة، محاضرات في تحليل الخطاب، مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الثانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة 2012/2013، ص 7-8.

## 5- أهداف لسانيات النص:

تسعى لسانيات النص إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، إذ لا تقتصر على الاهتمام بالأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن تفرز نظاماً من القيم والوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ لا ينفك الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت في استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعددة ومتنوعة، يقول سعيد حسن بحيري: "لسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية"<sup>52</sup>

<sup>52</sup> سعيد حسن بحيري، مرجع سابق، ص 135.

المبحث الثاني

الاتساق مفاهيمه وأدواته

المبحث الثاني: الاتساق مفاهيمه وأدواته:

## 1. مفهوم الاتساق :

### 1.1. لغة:

جاء في لسان العرب اتسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت ...، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انظم فقد اتسق، واتسق القمر: استوى وفي التنزيل: " فلا أقسم بالشفق (16)والليل وما وسق (17)والقمر إذا اتسق(18)" سورة الانشقاق {16-17-18}.

يقول الفراء " وما وسق أي ما جمع وضم الشيء...وقيل كل ما جمع وسق ...والاتساق والانتظام".

أما في المعجم الوسيط فقد جاء " وسق الدابة (نسيق) وسقا، ووسوقا، حملت ... والقمر استوى وامتلأ، ويقال : استوسقت له الأمر: أمكنه"<sup>1</sup>

من خلال التعريفين يتضح لنا أن الاتساق له معاني كثيرة حسب استخدامها، غير أنها كلها تدور حول: الاجتماع والانضمام والانتظام.

### 1.2. اصطلاحا:

اختلف الباحثون حول ترجمة مصطلح " الاتساق " ، فنجد صبحي إبراهيم الفقي قد استخدم مصطلح Cohésion للدلالة على الروابط الشكلية، ومصطلح Cohérence للدلالة على الروابط الدلالية، ونجد أيضا محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص " قد ترجم Cohésion بالاتساق و Cohérence بالانسجام<sup>2</sup>.

على الرغم من الاختلاف في الترجمات إلا أن جل آرائهم تتدرج تحت معنى واحد وهو أن الاتساق يكون في البناء النصي الداخلي، والانسجام يكون على مستوى البناء الخارجي للنص.

يعرف محمد خطابي الاتساق بأنه " ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما يهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من

<sup>1</sup> شوقي ضيف وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 2004، ص1032.

<sup>2</sup> جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2009، ص 121.

خطاب أو خطاب برمته<sup>1</sup> وأردف بأن الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب بل يتعدى إلى مستويات أخرى كالنحو والمعجم.

ويعرفه كل من هاليداي و رقية حسن: الاتساق مفهوم دلالي إذ يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص ...، وأن الاتساق يبرز في تلك المواضيع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل عنصر آخر يفترض كل منهما الآخر مسبقاً، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق<sup>2</sup>.

نستخلص من هذا أن الاتساق مرتبط بالمستوى الدلالي، ويظهر ذلك عند تفسير عصر من العناصر الذي لا يكون له قيمة في النص إلا بوجود عنصر آخر يقابله. ويؤكد صلاح فضل " أن التماسك خاصة نحوية للخطاب تعتمد على علاقة كل جملة منه بالأخرى، وهو ينشأ غالباً عن طريق الأدوات التي تظهر في النص مباشرة كأحرف العطف، والوصل، والترقيم، وأسماء الإشارة، وأداة التعريف، والاسم الموصول، وغيره<sup>3</sup>.

## 2. أدوات الاتساق :

يعتبر الاتساق معياراً مهماً في دراسة النص القرآني، ويعتبر "هاليداي" و "رقية حسن" من الباحثين البارزين الذين تحدثوا عن أدوات الاتساق في كتابهما "الاتساق في الانجليزية" حيث حددوا أدواته في خمس نذكرها على التوالي:

### 1. الإحالة والمرجعية (Référence)

### 2. الاستبدال (Substitution)

### 3. الحذف (Ellipse)

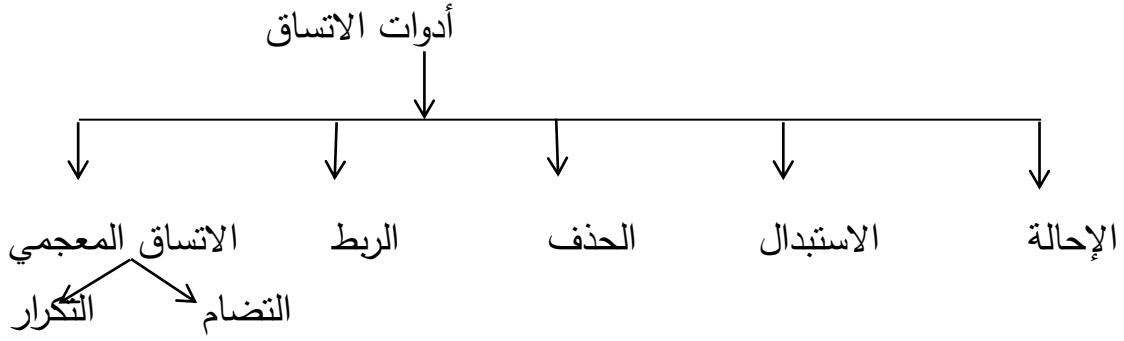
### 4. الوصل و العطف (Conjonction)

### 5. الاتساق المعجمي (Lexical Cohésion)

<sup>1</sup> محمد خطابي ، مرجع سابق، ص5.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص15.

<sup>3</sup> إبراهيم محمود خليل، اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان، ط1، 2007 ، ص 219.



## 1.2. الإحالة:

### أ- مفهومها:

تعد الإحالة من أهم الوسائل التي يتكئ عليها محلل النص، وهي من أهم الأدوات التي تحقق للنص التحامه وتماسكه، ويقول الأزهر الزناد عن الإحالة " هي التي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"<sup>1</sup>

و نفهم من كلام الأزهر أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه بحيث لا يمكن فهمه إلا بالعودة على ما يحال عليه، ومن هنا فإن الإحالة عند دي بوجراند " هي العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي التي تشير إليه العبارات"<sup>2</sup>

ونفهم من تعريف " دي بوجراند" أن الإحالة عملية تربط بين الجمل والعبارات والنصوص، التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها أو متأخرة.

### ب- أنواع الإحالة:

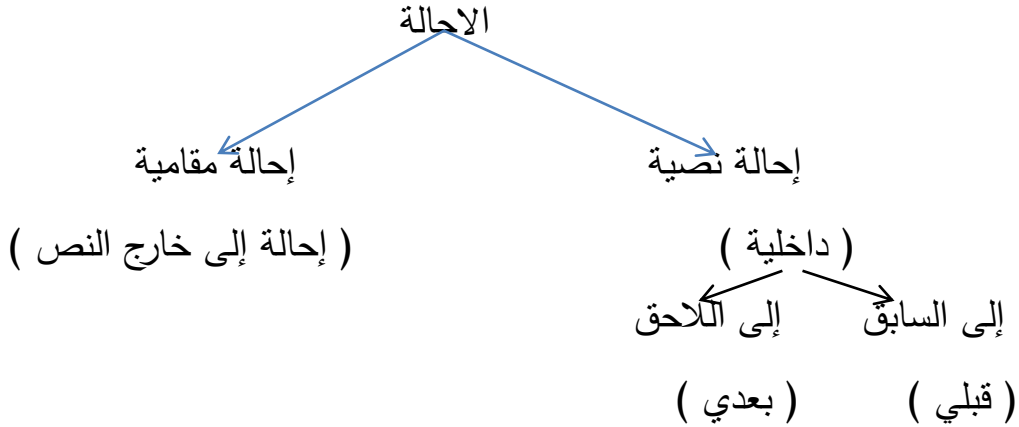
تنقسم الإحالة كما أشار علماء اللغة النصابيين أمثال: هاليداي و رقية حسن إلى قسمين:

إحالة نصية (داخلية)، إحالة سياقية (مقامية)، وهذا ما يمثله المخطط الآتي<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> الأزهر الزناد، نسيج النص، فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص 118.

<sup>2</sup> روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسان، الناشر عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998، ص 320.

<sup>3</sup> محمد خطابي، مرجع سابق، ص 17



من خلال هذا الشكل يتضح لنا، ان الإحالة نوعان، مقامية ونصية.

### 1- الإحالة المقامية:

يعرفها كل من هاليداي و رقية حسن أنها تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر<sup>1</sup>.  
فالإحالة المقامية تحيل على أشياء وموجودات خارج النص، فهذا شيء أقل استعمالاً مقارنة بالإحالة النصية.

### 2- الإحالة النصية:

وهي الإحالة الداخلية، وتكون بين عنصرين لغويين من داخل النص نفسه و تتفرع إلى:

- أ- إحالة قبلية: هي الأكثر شيوعاً في الخطاب، وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به، وتسمى على أمر سبق ذكره في النص.
- ب- إحالة بعدية: وهي عكس الإحالة القبلية، حيث يأتي فيها المحال إليه بعدها، وتسمى بالإحالة على اللاحق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، ص 88.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 90.

المبحث الثالث

الانسجام النصي: مفاهيمه، أدواته،

سياقاته

المبحث الثالث: الانسجام النصي: مفاهيمه، أدواته، سياقاته:

## 1. مفهوم الانسجام النصي : (Coherence)

أ- لغة: قصد الكشف عن المفهوم اللغوي للانسجام قمنا بتتبع المادة اللغوية لهذه الكلمة في بعض المعاجم.

حيث ورد في لسان العرب تحت مادة ( س ج م ) : " سَجَمَتِ العَيْنُ الدمعَ والسحابةَ الماءَ تَسْجِمُهُ و تَسْجُمُهُ سَجْمًا وسَجُومًا وسَجْمَانًا وهو قَطْرَانُ الدمعِ و سيلانه قليلا كان أو كثيرا ... ودمع مسجوم سجمته العين سَجْمًا وقد أسجمه وسَجَّمه والسَّجْمُ الدمع ... وانسجم الماءُ والدمع فهو منسجمٌ إذا انسجم أي انصبَّ ... سجم العين والدمع الماء يسجم سجوما وسجاما إذا سال وانسجم " .

كما ورد في القاموس المحيط " سجم الدمع سجوما وسجاما، ككتاب، وسجمته العين، والسحابة تسجمه وتسجُمه سَجْمًا وسَجُومًا وسَجْمَانًا، قطر دمعها وسال قليلا أو كثيرا" .  
فمن خلال هذا التفصي للمعاني المتعلقة بمادة (س ج م) نجد أنها تدور حول القَطْران والصبِّ و السيلان، وهذه المفردات توحى بالتتالي و التتابع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار، وإذا ما ربطنا هذه المعاني بالكلام نجد الانسجام هو أن " يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم" .

### ب - اصطلاحا:

يعد مصطلح (Coherence) أحد المصطلحات التي عرفت تباين آراء الدارسين بشأنه، وذلك من خلال إيجاد مقابل عربي له، بحيث كان لكل الدارسين مصطلح معين مقابل المصطلح الأجنبي (Coherence) في الانجليزية أو (Kohaereg) في الألمانية أو ما ماثلهما في لغات أجنبية أخرى، فمثلا محمد خطابي نجده اختار مصطلح الانسجام، أما تمام حسان ترجمه بالالتحام، ومحمد مفتاح بالتشاكل، حيث حلل في ضوءه قصيدة كاملة تعرّض فيها للتشاكل الصوتي والتركيبي والدلالي رابطا ذلك كله بالقواعد التداولية، في حين استعمل

الباحثان سعد مصلوح و محمد العبد مصطلح الحبك بدلا من الاصطلاحات السابقة أو ما شابهما كالتناسب، والتقارن... الخ، حيث يقول محمد العبد " فقد آثرت الحبك على غيره مما دار مداره " .

وبصرف النظر عن هذا التباين الحاصل نقول إن الانسجام أو الحبك كانت له أهمية خاصة في حقل علم اللغة النصي، فهو عند كلاوس برينكر المفهوم النواة في تعريف النص ، فهو كذلك من العناصر الأساسية التي أشار إليها فان دايك (Van Dijk) في دراسته للعلاقة بين النص والسياق ، فهو كذلك يمثل أساسا مهما من أسس الدرس النصي، لكونه يختص بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينهما، ومنه فهو " الطريقة التي تتم بهل ربط الأفكار داخل النص" ، وهو ما تتطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثيقة صلة متبادلين " .

ومن ثم فمصطلح الانسجام أو الترابط النصي يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص، هذه الروابط تعتمد على المتحدثين (السياق المحيط بهم) ، فهو إذن يتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي ، أي أنه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهرة النص، فيغدو الانسجام أعم وأعمق من الاتساق، وهذا لارتباطه بالعلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، فهذه العلاقات تحتاج من القارئ جهدا في التفسير والتأويل وتوظيف ما في مخزونه من معارف ومعلومات وتجارب سابقة عن العالم، للكشف عنها وتحقيق عملية التواصل والتفاعل الاجتماعي.

## 2. أدوات الانسجام النصي:

لقد أولى علماء لسانيات النص عناية قصوى بالانسجام، فيذكرون أنه "خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم أنه من الجمل الأخرى"، ونظرا لتعدد وتنوع العلوم التي تجعل من النص / الخطاب محور دراسة لها، لذلك اختلفت

الاتجاهات النظرية لهذه العلوم فكل منها ينظر للنص / الخطاب وفق منظوره الذاتي ووجهته الخاصة: ولهذا تعددت عمليات الانسجام، وآلياته تبعا لتباين آراء علماء النص، ولعلنا في هذا المقام سنركز على أهم و أبرز الآليات المعروفة، لدى علماء النص.

## 1.2. السياق : (Context)

إن البنية النصية وليدة عدة سياقات ومرجعيات مختلفة، خلقتها وأكسبت عناصرها اللغوية علاقات خاصة جعلت النص كلا موحدًا، يحاول المحلل النصي الوصول إليه باكتشاف هذه السياقات والإلمام بها حتي يستطيع تأويل وفهم العلاقات الكامنة فيه، لذا فإن اكتشاف التماسك النصي له علاقة وطيدة بالسياق الذي خلقه، والمتلقي الذي اكتشفه ويظهره.

ولكن يجدر بنا أولاً قبل التطرق لمفهوم السياق في علم اللغة الحديث، أن نرجع على أصالة هذا المصطلح في التراث العربي، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور قوله " السوق: السّوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقًا وسياقًا وهو سائق وسوّاق شدد للمبالغة قال الخطم القيسي ويقال لأبي زغبة الخارجي قد لَفَّها الليل بسوّاق حُطَمَ وقوله تعالى: {وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد} قيل: في التفسير سائق يسوها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بعملها...وقد انساقت الإبل تساوفا إذا تتابعت... والمساوقة المتابعة كأنّ بعضها يسوق بعضها... والسيّاق: المهر... والسيّاق: نزع الروح، وفي الحديث: دخل سعيد على عثمان وهو في السّوق: أي النزع كأن روحه تساق لتخرج من بدنه، ويقال له السيّاق أيضا، وأصله سِواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين " .

وقال الزمخشري (ت 538هـ) " وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث . وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده " .

اهتم علماء اللغة بالسياق ودوره في تحدي معاني الأحداث ، واعتبروه من أهم العوامل التي تسهم في عملية التماسك النصي، وهذا من خلال مقولتهم الشهيرة والدقيقة لكل مقام مقال)، " فانطلقوا في مباحثهم من فكرة ربط الصياغة بالسياق، وأصبح مقياس الكلام في باب

الحسن القبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، أي مقتضى الحال" ، فعلماء العربية بداية من سيبويه (ت 180 هـ) والمبرد (ت 285 هـ) وغيرهما خصصوا له الحظ الأوفر خاصة في حالتَي الغموض واللبس، إذ اعتبر المصدر الوحيد لإيضاح المعنى في هاتين الحالتين ، فالمبرد مثلا ركز على أن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصلح حدث المعنى ، وكما ألح سيبويه على ضرورة وجود الضمير الذي يحيل على السابق وإلا يصبح الكلام غير حسن .

ويلخص ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله الطلحي مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث الآتية :

- الأولى: أن السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام.
- الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها.

- الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه موضع التحليل أو يجعل منها وجها استدلاليا.

### 1.1.2 مفهوم السياق في علم اللغة الحديث:

أولى المحدثون للسياق اهتماما كبيرا لتأثرهم بدراسات دي سوسير ومنهجه الاجتماعي للغة، الذي يقر بأن اللغة نشاط اجتماعي، نابعة من الاحتكاك في المجتمع وبالتالي لا يمكن فهمها إلا من خلال المجتمع الذي تواضع عليها ، ومن أبرز المدارس التي اهتمت بالسياق مدرسة فيرث التي قامت على أساس المعنى، والمعنى عندهم كما صرح به فيرث : لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية " . وخلص فيرث إلى أن تحديد المعنى يتوقف على الشروط التالية:

- تحليل السياق اللغوي صوتيا وصرفيا ومعجميا.

- بيان نوع الوظيفة الكلامية.

- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

أما براون و يول فالسياق عندهما يلعب دورا فعالا في تأويل وفهم وتفسير النص/الخطاب، فهو يتشكل لديهما من المتكلم والمستمع والزمان والمكان، كما أن هايمز (D-Hymes) يبرز دور السياق في الفهم بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود " إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد المعاني، فعندما نستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياق - بدوره- يستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها "

أما في تحديده لخصائص السياق والتي لها علاقة بتحديد نوع الأحداث الكلامية يركز على ما يأتي:

- الباث (المرسل): المتكلم أو الكاتب.

- المتلقي (المرسل إليه): ويعني به السامع أو القارئ.

- المستمعين: إذ يسهم وجودهم في تحديد معنى الحدث الكلامي.

- الموضوع: أو الرسالة والذي يسميه هايمز محور الحديث.

- الظرف: ويقصد به السياق الزماني والمكاني للحدث.

- الوضع الجسمي للأطراف المشاركة: أي العلاقات الفيزيولوجية كتقاسيم الوجه

والإيماءات.

- القناة : أي الكيفية التي تم بها التواصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي.

- الشفرة المستعملة: وهي اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل.

- صيغة الرسالة : ويعني بها الشكل المقصود للخطاب.

- الحدث: أي طبيعة الحدث التواصلية.

- الطابع : وهو الذي يتضمن تقييم الكلام.
- الغرض: وهو ما كانت تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي.

وقد قسم اللسانيون السياقات إلى:

- أ- سياقات لغوية (مقالية) : (verbal contexte) متمثلة في النص ذاته بجميع مستوياته اللغوية وكيونيتها النصية، إذ إن معنى الكلمة لا يتحدد إلا مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية .

#### ب- سياقات غير لغوية (contextes of situation)

وهي ظروف النص وملابساته الخارجية التي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة والمتباينة التي ينجز ضمنها النص . وينتهي ضمنه المظهر الخطابي ذو الرسالة اللغوية في مقام معين، فيصيب المدلولات التغير إذا تغيرت واختلفت المواقف التي تستخدم فيها الكلمات. إذن فالتماسك النصي مرتبط ارتباطا وثيقا بالسياقات المختلفة، سواء الداخلية أو الخارجية، تشترك وتتضافر مع غيرها من أدوات التماسك لتحقيق النصية.

### 2.2. التأويل المحلي:

ورد مفهوم التأويل (Interprétation) في لغة العرب بمعنى الرجوع والعود ابن منظور (ت 711 هـ) تحت مادة (أول) : "الأول، آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجع، وأول إليه الشيء رجعه وألّ عن الشيء ارتددت ...وأول الكلام وتأوله دبّره وقدره وأوله وتأوله فسّره، وقوله عز وجل: ( ولما يأتهم تأويله )، أي: لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه وقيل معناه لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة ...قال ابن الأثير : هو من آل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع وصار إليه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ" .

ويأتي التأويل في لغة العرب بمعنى التفسير أيضا " التأويل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظ" ، وهذا المعنى ليس بعيد عن المعنى السابق، فالتفسير تأويل، لأن المفسر يراجع نفسه عند الشرح والبيان ويدبر الكلام ويقدره، ففيه معنى العود والرجوع.

إن التأويل في الثقافة العربية من أبرز المصطلحات التي دار حولها جدل غير قليل بين العلماء قديما في مختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم التي يدعون إليها، فالتأويل ظهر جليا في أفكار ونظريات علماء الكلام أو المتكلمين فهو عندهم علم قائم بذاته .

أما في الثقافة الغربية فنجد في اللغة الفرنسية سنة 1888م يعود للأصل اليوناني (هارمينوتيكيوس)، وهو يختص بعلم تأويل الأمهات من النصوص سواء أكانت الفلسفية أو الدينية، وقد دأبت عليه المدارس النقدية المتعاقبة، وحاول النقد الحديث في الغرب توظيفه ضمن اتجاه عام يهدف إلى تجاوز ثنائية الشكل والمضمون، ويرى بعض الباحثين أن التأويل في حقيقته ليس له علاقة بالنص الأدبي، وإنما هو من المصطلحات التي اقترن ظهورها بالفلسفة.

إن مبدأ التأويل أو التأويل المحلي كما يسميه محمد خطابي "يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق ، كما أنه مبدا متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالسم (محمد) مثلا" . فمن هذا يتبين أن وظيفة التأويل المحلي تقييد البعد التأويلي للنص/الخطاب، وذلك اعتمادا على خصائص السياق التي من شأنها حصر القراءات أو التأويلات الممكنة للنص، واستبعاد القراءات التعسفية التي تفرض على النص، فالتأويل إذن هو القراءة الممكنة للنص، لأن هذا الأخير ليس مغلقا على ذاته، بل هو مفتوح على القارئ يدخله في أي زاوية شاء، فينتج ويبدع نصا جديدا فوق النص الأول، فهو بذلك المصطلح الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر والأحداث، فما هو

إلا جزء من استراتيجية عامة وهي التشابه، وما هما التأويل المحلي والتشابه إلا استراتيجية أعم تشملهما وهي معرفة العالم .

فالتأويل المحلي يعتمد تجاربنا السابقة في مواجهته للنص أو نصوص ومواقف سابقة تشبه من قريب أو من بعيد النص أو الموقف الذي نواجهه حالياً، وبفضل هذه الآلية يتم استبعاد التأويل الذي لا ينسجم ولا يتلاءم مع العناصر التأويلية والمعلومات الواردة في النص/الخطاب .

إن محلل النص /الخطاب، لكي يربط شيئاً معطى مع آخر غير ظاهر يعتمد ويستند إلى تجاربه السابقة فيراكم عادات تحليلية وفهمية وعمليات متعددة لمواجهة النصوص بغية اكتشاف الثوابت والمتغيرات النصية التي تمكنه من الوصول إلى النص وخصائصه النوعية، فسلامة التأويل ومناسبته في شكل من أشكال إنتاج المعنى المناسب، وهذا لا يتأتى إلا بتوافر وسائل أخرى تعضده كالتشابه الذي يرد بنسب متفاوتة، فإذا كانت التعابير مختلفة والمضامين مثلها في النصوص، فإنه ليس بالضرورة أن تتغير الخصائص النوعية لهذه النصوص أو الخطابات بل نادراً ما يلحقها التغيير، ومنه فمبدأي التشابه والتأويل المحلي " يكونان أساس فرضية التماسك المعنوي في تجربتنا الحياتية عموماً، وبالتالي في تجربتنا مع الخطاب كذلك" .

### 3.2. التغيريض : (The Mmatisation)

الذي يعرفه براون ويول بأنه "نقطة بداية قول ما"، ونقطة بداية أي نص تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى، فالعنوان عنصر مهم في سيميولوجيا النص، ففيه تتجلى مجموعة من الدلالات المركزية للنص الأدبي إذ يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمنه النص لذا عده براون ويول أقوى وسائل التغيريض، لاحتوائه على وظائف رمزية مشفرة بنظام علامي دال على عالم من الإحالات ، فهو إجراء في هدف النص وغرضه، أما الجملة الأولى في تمثل معلماً عليه يقوم اللاحق منها ويعود ن فهي تؤثر في تأويل ما يأتي من النص/الخطاب الذي كانت نقطة بدايته. ويحدد كرايمس التغيريض بمفهوم أعم وهو " كل قول،

كل جملة ، كل حلقة، وكل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية . ومنه  
فالتعريفات والمفاهيم السابقة عدت العنوان أو الجملة الأولى من النص أهم الأدوات المستعملة  
للتغريض، لكونه المنطلق المهم جدا في تأسيس كل شيء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن علماء التفسير أولوا اهتماما كبيرا بالجملة الأولى في التحليل  
النصي وعلاقة الجملة التالية كلها بهذه الجملة، وهذا ما ركز عليه علماء النص المعاصرون  
في عملية التحليل وكشف الانسجام، حيث نجد الرازي (ت 328 هـ) يركز على أهمية الفاتحة  
بالنسبة لما يليها من السور، فيقول " هذه السورة مسماة بأمر القرآن فوجب كونها كالأصل  
والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه ...".

وإضافة إلى هذه العناصر هناك عناصر أخرى أو طرق أخرى يتم التغريض بها كتكرير  
اسم الشخص، استعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم  
خصيصة من خصائصه، و تحديد دور من أدواره في فترة زمنية.

## الفصل الثاني

التحليل النصي لسورة الفتح من خلال:

الاتساق والانسجام

المبحث الأول

بين يدي السورة

## الفصل الثاني: التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الاتساق والانسجام:

## المبحث الأول : بين يدي السورة

## 1. اسم السورة:

رأى بعض المفسرين أن سورة (الفتح) سميت بهذا الاسم أن الله افتتحها ببشرى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالفتح والنصر<sup>1</sup>.

عدد آياتها تسع وعشرون آية بالإجماع.<sup>2</sup>

سورة الفتح مدنية، نزلت في السنة السادسة من الهجرة<sup>3</sup>، عقب صلح الحديبية؛ وهي تتناول هذا الحادث الخطير وملابساته؛ وتصور حال الجماعة المسلمة وما حولها في إبانها: فبين وقت نزولها ووقت نزول سورة محمد التي تسبقها في ترتيب المصحف، نحو من ثلاث سنوات.

## 2. سبب نزولها:

لقد أرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منامه أنه يدخل الكعبة هو والمسلمون محلقين رؤوسهم ومقصرين، وكان المشركون قد منعوهم منذ الهجرة من دخول مكة، حتى الأشهر الحرم التي يعظمها العرب كلهم في الجاهلية، ويضعون السلاح فيها؛ ويستعظمون القتال في أيامها، والصد عن المسجد الحرام. حتى أصحاب الثارات كانوا يتجمعون في ظلال هذه الحرمة، ويلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يرفع في وجهه سيفاً، ولا يصد عن البيت الحرام، ولكنهم خالفوا تقاليدهم الراسخة في هذا الشأن؛ وصدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين معه طوال السنوات الست التي تلت الهجرة، حتى كان العام السادس الذي أرى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الرؤيا وحدث بها أصحابه - رضوان الله عليهم - فاستبشروا بها وفرحوا .

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتتوير الناشر، دار التونسية للنشر، تونس، ج25، 1984 هـ ، ص141.

<sup>2</sup> جامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، 259/15 .

<sup>3</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج26، دار الشروق، ط 34 ، 2004، ص30.

وروى الإمام أحمد بإسناده - عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر. قال: فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد علي. قال: فقلت ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألححت. كررت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات، فلم يرد عليك، قال فركبت راحلتي، فحركت بعيري، فتقدمت، مخافة أن يكون نزل في شيء قال: فإذا بمناد ينادي يا عمر؟ قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم " نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها: إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" رواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله.

### 3. المقاصد العامة للسورة:

تتجلى المقاصد العامة لسورة الفتح في النقاط التالية:

1.3 بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح والمغفرة المطلقة وتمام النعمة والهداية والنصر العزيز وهذا يدل على كرامة النبي عند ربه والوعد له بالنصر المتعاقب.

2.3 الامتتان على المسلمين بالسكينة والاعتراف لهم بالإيمان السابق وتبشيرهم بالمغفرة والثواب ن وعون السماء بجنود الله، وما أعده الله لأعدائهم من المنافقين والمشركين والمشركات من الغضب واللعنة والعذاب الأليم.

3.3 التنويه ببيعة أهل الايمان رسول الله واعتبارها بيعة الله وربط قلوب المؤمنين مباشرة بربهم عن هذا الطريق.

4.3 الكشف عن فضيحة الذين تخلفوا عن الحديبية من الأعراب ولمزهم بالجبن والطمع وسوء الظن بالله وبالكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنعهم من المشاركة في غزوة خيبر وإنبأهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر؛ فإن استجابوا غفر لهم تخلفهم عن

الحديبية وبيان الأعذار المستحقة للتخلف عن الخروج للجهاد في سبيل الله. 3.5 وعد النبي بفتح آخر وهو فتح خيبر، يعقبه فتح أعظم منه، وهو فتح مكة المكرمة، والتكثير بأعداء المسلمين الذين صدوا أهل الإيمان عن المسجد الحرام والهدى. الإشارة إلى الصفات التي تتميز بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبيان وصفهم في الكتاب السماوية السابقة.

4. الجو العام للسورة: إن الجو العام للسورة يحكي حال ثلاث فئات متصارعة: فئة تتافح عن الحق وتذب عن حياضه، وهي الفئة المؤمنة التي خرجت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لأداء العمرة، وأخرى تكابح في تعنت غاشم واستعلاء ظالم وهي الفئة الطاغية والشردمة الباغية، إلا أن إرادة الله شاءت ألا يصل أهل الحق إلى المراد وعزب عنهم الارتياح فخالطهم حزن حزين ، وأسى دفين، لا لمكسب دنيوي فاتهم وشمس عنهم وكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، إلا أن عناية الله بدلت الحزن فرحا والأسى نجاحا وملأت القلوب سكينه، والنفوس طمأنينة، فزفت لهم البشريات وسيقت لأعدائهم المخزيات، ثم تأتي فئة ثالثة مذبذبة وهي فئة العراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسومين بسوء الظن والخداع، فكشفت السورة عنهم القناع فالسورة في جوها العام وعد ووعيد وبشارة ونذارة.

المبحث الثاني

التحليل النصي لسورة الفتح من خلال

أدوات الاتساق

المبحث الثاني : التحليل النصي لسورة الفتح من خلال أدوات الاتساق:

### 1. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال العطف:

ورد من أدوات العطف في السورة الكريمة: (الواو) وقد وردت في ثماني وأربعين مرة، و(الفاء) وقد وردت في ثماني عشرة مرة، و (بل) في أربعة مواضع و (أو) في موضعين و (ثم) في موضع واحد كما هو مبين في الجدول :

حروف العطف	عددها في السورة
الواو	48 مرة
الفاء	18 مرة
بل	04 مواضع
أو	02 موضعين
ثم	01 موضع واحد

وكثرة العطف بالواو يتناسب مع الأسلوب السردى للأحداث وهو ما قامت عليه السورة الكريمة، كما ان العطف بالواو أفاد الترتيب في مواضع من السورة على خلاف بين المفسرين، كما أنها تقارضت مع (الفاء) في مواضع أخرى، كما أنها جاءت عاطفة في مواضع واستئنافية في مواضع أخرى

أما الفاء فقد جاءت دالة على التعقيب والترتيب والسببية في كل المواضع تقريبا.

أما دلالة العطف بـ (بل) فقد جاءت في المواضع الأربعة دالة على الإضراب.

وجاءت (أو) دالة على معنى الإباحة في الموضع الأول، واختلف المفسرون في الموضع الثاني بين دلالتها على التخيير أو اعتبارها استئنافية بيانية.

بينما جاءت (ثم) في موضع واحد دالة على التراخي الرتبي.

### 2. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال التكرار:

تكررت جملة ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مرتين في موضعين متقاربين في السورة الكريمة، وقد بين غير واحد من المفسرين علة التكرار؛ فقد قال الرازي "ما الفائدة في الإعادة؟ نقول: لله جنود الرحمة وجنود العذاب. أو جنود الله إنزالهم قد يكون للرحمة، وقد يكون للعذاب؛ فذكرهم أولاً لبيان الرحمة بالمؤمنين ... وثانياً: لبيان إنزال العذاب على الكافرين..." وعلى هذا تكون الجملة الأولى في سياق الوعد والثانية في سياق الوعيد، في حين رأى القرطبي أن الجملتين في سياق الوعد والتهديد؛ فقال "وأعاد لأن الذي سبق عقيب ذكر المشركين من قريش، وهذا عقيب ذكر المنافقين والمشركين والمراد في الوضعين التخويف والتهديد، فلو أراد إهلاك المنافقين والمشركين لم يعجزه ذلك، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى" ولكن أبا السعود يرى ما رآه الرازي، محتجا بتذييل الجملة الثانية بوصف العزة فقال "فأندتها : التنبيه على أن الله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب ، وأن المراد ههنا: جنود العذاب، كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة"

### 3. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الإحالة:

تتحقق الإحالة من خلال الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وقد تلاحظ شيوع الضمائر لاسيما الدالة على الغيبة في السورة الكريمة وهوما يعكس ترابط النص وتماسكه،

وهذه العناصر من أهم ما يساعد على ترابط النص وتماسكه.

يكتفى بالضمير عن الاسم الظاهر، ومن ثم كان الربط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار؛ بل إن الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إل الخفة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاختصار، وهذه العناصر الثلاثة من مطالب الاستعمال اللغوي.

والضمير في ذاته كلمة مجهولة الهوية، تثير في ذهن المستقبل الرغبة في تذكر ما سبقها في النص؛ ليقوم بسد الفراغ الدلالي الذي تحدثه هذه الكلمة المجهولة وهو ما يعرف بعود الضمير، فلا بد للضمير من عائد يتعلق به وهو يعود عليه، وبذلك يجد مستقبل النص

نفسه يتحرك داخل النص للأمام وللخلف، ليربط الضمير بما يعود عليه، ومن ثم يتحقق الربط بين عناصر النص ووحداته، وكذلك الحال في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فهي أدوات تحت السامع أو القارئ بل وتجبرهما على البحث عن معناها داخل النص.

والضمائر بشتى أنواعها شائعة في السورة الكريمة، حيث بلغت نسبة ورودها في

السورة الكريمة ما يقرب (154) مائة وأربع وخمسين مرة، يمكن توزيعها كالاتي:

الضمائر	عددها
ضمائر الغائب	90
ضمائر المخاطب	33
ضمائر المتكلم	14

وجاء من الأسماء الموصولة (ما) جاءت ثلاث مرات و (الذي) ثلاث مرات و (التي) مرة واحدة و(الذين) ست مرات وجاء من أسماء الإشارة (هذه) مرة واحدة و (ذلك) خمس مرات.

ويمكن الاقتصار على نماذج من ذلك على النحو الآتي:

- ففي الآيات الأربع الأولى نلاحظ تكرر ضمير الخطاب الموجه للرسول - صلى الله عليه وسلم- ويكشف أبو حيان عن هذه الدلالة بقوله " واشتركت الخمسة في الخطاب له - صلى الله عليه وسلم - تأنيسا له وتعظيما لشأنه ، ولم يأت بالاسم الظاهر، لأن الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر"
- ثم التنويع الذي بدا في مطلع السورة أيضا حيث عبر بضمير (نا) الدالة على العظمة في ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ ثم العدول عنه إلى ضمير الغيبة في قوله : ليغفر وقد كشف الرازي عن تلك الدلالة بقوله " وههنا مسألة أخرى، وهو أن الله تعالى قال: إنا فتحنا ثم قال : ليغفر لك الله ولم يقل: إنا فتحنا لنغفر لك؛ تعظيما لأمر الفتح، وذلك لأن المغفرة إن كانت عظيمة لكنها عامة لقوله ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾...ولئن قلنا بأن المراد من المغفرة

في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - العصمة؛ فذلك لم يختص بنبينا بل غيره من الرسل كان معصوما وإتمام النعمة كذلك، قال تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ ... وكذلك الهداية قال الله تعالى ﴿يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فعمم كذلك النصر، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ وأما الفتح فلم يكن لأحد غير النبي - صلى الله عليه وسلم - فعظمه بقوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، وفيه التعظيم من وجهين : أحدهما (إنا) وثانيهما (لك) أي: لأجلك على وجه المنة .

1- وثمة جدل دار بين أهل التأويل في عود الضمائر في قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فما يفهم من كلام الطبري أن الضميرين ف : تعزروه وتوقروه يعودان على الرسول، والضمير في تسبحوه يعود على الله. وعليه فهو يرى تنويع عود الضمائر، في حين رأى غيره عودة الضمائر الثلاثة إلى الله تعالى ومنهم الزمخشري؛ وقد علق قائلا "الضمائر لله عز وجل ... ومن فرق الضمائر فقد أبعده" وقد علق ابن عطية على الرأيين قائلا "وقال بعض المتأولين: الضمائر في قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه هي كلها لله تعالى، وقال الجمهور: وتعزروه وتوقروه هما للنبي صلى الله عليه وسلم وتسبحوه هي لله تعالى..." ، وذكر الرازي الرأيين مرجحا عود الضمائر كلها لله تعالى. وهو أيضا ما أيده ابن عاشور مدللا على ذلك بقوله " وضمائر الغيبة المنصوبة الثلاثة عائدة إلى اسم الجلالة، لأن أفراد الضمائر مع كون المذكور قبلها اسمين دليل على أن المراد أحدهما، والقرينة على تعيين المراد ذكر [تسبحوه] ولأن عطف ورسوله على لفظ الجلالة اعتداد بأن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم إيمان به؛ فالمقصود هو الإيمان بالله..." بينما رأى الخطيب تنويع عود الضمائر معللا لذلك بقوله "على أننا نخالف هذا الرأي ونرى - والله أعلم- أن الضمائر بعضها عائد إلى الله سبحانه وتعالى وبعضها عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعزيز للرسول وهو في الوقت نفسه تعزيز لله، ونصر لرسول الله وتأييد لدينه ولكن إضافة هذا التعزيز للرسول تكريم له، لأنه القائم على دين الله، وحامل راية الجهاد في سبيل الله ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ

آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ فالضمائر هنا كلها عائدة إلى رسول الله من غير شك، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا وأما التوقير فهو لله، وأما التسبيح بكرة وأصيلا فهو خالص لله وحده وهذا هو الرأي الأقرب لأنه يمثل وجهة نظر جمهرة المفسرين كما صرح بذلك ابن عطية ولأنه مؤيد بنص آخر من القرآن.

2- كما كانت الإشارة في قوله ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ مختلف في إحالتها فقد رأى الألوسي أنها إشارة إلى مغنم خيبر في حين قال أبو حيان "الإشارة بهذه إلى البيعة والتخلص من أمر قريش بالصلح، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم وابنه وقال مجاهد " مغنم خيبر" والرأيان محتملان ولا تعارض بينهما فقد عجل الله لروله بالصلح المرشح للفتح وعجل له فتح خيبر.

لا شك أن حروف الجر لها أثر واضح أيضا في تنوع دلالة الأفعال ونضرب أمثلة على سبيل المثال لا الحصر من خلال السورة لكرامة على النحو الآتي:

فجملته ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فيها ملامح ألمح إليه ابن عاشور إذ يقول " وعدى فعل استدعون بحرف إلى لإفادة أنها مضمنة معنى المشي وهذا فرق دقيق بين تعدي فعل الدعوة بحرف "إلى" وبين تعديته ب"اللام".

وفي قوله تعالى "وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم" يقول ابن عاشور: فعدى أظفركم بـ "على" لتضمينه معنى "أيديكم" وإلا فحقه أن يعدى بالباء

#### 4. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الحذف:

يعد الحذف واحدا من العوامل التي تحقق التماسك النصي، وأفضل مثال للذكر هو القرآن الكريم، فلا تكاد آياته تخلو من الحذف، وهو ما زاده اتساقا في جل سوره ومن الأمثلة على ذلك:

قال تعالى ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

وجه الحذف: أن السوء صفة لموصوف محذوف والتقدير: أي الظانين بالله ظن

الأمر السوء

قال تعالى ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

فإن قوله تعالى "وأخرى" وصف لمحذوف تقديره: وعدكم الله مغانم أخرى .

قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ

عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ، وأخرج الطبري عن عبد الله بن مغفل، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم- كان جالسا في أصل شجرة بالحديبية، وعلى ظهره غصن من

اغصان الشجرة فرفعتها عن ظهره، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه وسهيل بن

عمرو، وه وصاحب المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: اكتب بسم الله

الرحمن الرحيم، فأمسك سهيل بيده، فقال: ما نعرف الرحمن، اكتب في قضيتنا ما نعرف،

فقال رسول الله: اكتب باسمك اللهم، فكتب، فقال : هذا ما صالح محد رسول الله أهل مكة،

فأمسك سهيل بيده، فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولا اكتب في قضيتنا ما نعرف، قال :

اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله، فخرج علينا

ثلاثون من شبابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله صلى الله علسه

وسلم فأخذ الله ابصارهم.

المبحث الثالث

الانسجام في سورة الفتح

المبحث الثالث: الانسجام في سورة الفتح:

### 1. التغريض:

عند اطلاعنا على مفهوم التغريض أدركنا أن التغريض له علاقة قوية بمضمون الخطاب، فهو الخطوة الأولى لقراءة النص وفهمه وكشف مدى تماسكه، لأن النص قد يكون مكملا لما جاء في العنوان، موضحا ومفسرا، وهذا ينطبق أيضا على أسماء السور في القرآن الكريم.

وفيما يخص سورة الفتح فنحن نبحت في العلاقة بين اسم السورة ومحتواها من دلالات ترتبط بالعنوان، خصوصا إذا أدركنا أن أسماء السور في القرآن الكريم توقيفية، واسم السورة له أهمية كبيرة وهذا ما نبه إليه علماءنا، حيث يذهب "الزركشي" إلى تسمية السورة باسم معين " ليس إلا تعظيما لتقليد معلوم عند العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ بأسمائها من نادر أو مستغرب يكون في شيء من خلق أو خلق أو صفة تخصه...ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء السور في القرآن الكريم" .

وعند ذكر حدث معين أو اسم ما في السورة ليس كافيا لتبرير سبب التسمية، وقد أورد "الزركشي" جوابا على هذا الاعتراض، في كلامه عن "سورة هود" وسبب تسميتها بهذا الاسم قال " فقد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ، فلم تختص باسم هود وحده، وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطوال وأوعب؟...وتكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت غيرها، ولم يتكرر في واحد من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام، كتكراره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع" .

لكن هل عدد التكرارات يكفي حتى نبرز تسمية سورة بما تكرر فيها؟ يجيب "الزركشي" على هذا التساؤل بقوله "لما جرد لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها بغير ذلك، كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام"

نستنتج من أقوال الزركشي أن هناك ارتباط وثيقا بين السورة واسمها، ولو أردت استبدال اسم سورة بغيرها لم تستطع.

ولدراسة العلاقة بين اسم "سورة الفتح" ومحتواها لا بد أن نقف على تسمية السورة، فهي تسمى "سورة الفتح".

سميت "سورة الفتح" بهذا الاسم لما تضمنته من ذكر الفتح الذي تحقق للنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين بعد الذي اعتراهم يوم الحديبية من منع المشركين لهم من أداء المناسك، وقد وردت تسمية سورة الفتح على لسان الصحابة رضي الله عنهم، ولم يُعرف لها اسم آخر، وتعددت الروايات والأحاديث التي ورد فيها ذكر سورة الفتح، منها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن الصحابي عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - أنه قال "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرْجِعُ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَعْتُ كَمَا رَجَعَ." كما روي عن سهل بن حنيف يوم صفين حين قام بين الناس وقال: "اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّنْيَةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ"

### 2. آية المناسبة والكشف عن انسجام سورة الفتح:

المقصود بالمناسبة هنا ليس مناسبات النزول، أي الأحداث الملازمة لنزول القرآن الكريم، بل نقصد بالمناسبة هنا مناسبة ترتيب سور القرآن الكريم بهذه الكيفية، وكذلك ترتيب آياته المحكمات بهذه الصورة من التماسك والتناسب

### 1.2: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها:

حُتِمَتْ سورة محمد بالدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله، والتحذير من البخل عن الإنفاق في سبيل الله، الذي هو في حقيقته بخلٌ على النفس، على اعتبار أن مردَّ هذا الإنفاق على المنفقِ نفسه، فالله غنيٌّ عن العالمين، والعباد هم الذين يحتاجون إلى ربِّهم، وحذرت من التولّي، وإن هم فعلوا هذا، فإن الله يستبدل قومًا غيرهم، ولا يكونون أمثالهم.

قال البقاعي: وهَدَّدَ مَنْ أَعْرَضَ بِاسْتِبْدَالِ غَيْرِهِ بِهِ، وَإِنْ ذَلِكَ الْبَدَلُ لَا يَتَوَلَّى عَنِ الْعَدُوِّ وَلَا يَنْكُلُ عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ مُحْتَمًا لِسُقُوطِ الْكُفْرِ وَعُلُوِّ الْإِيمَانِ، وَذَلِكَ بَعِينُهُ هُوَ الْفَتْحُ الْمُبِينُ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ تَوَلٌّ نَاسَبَ أَنْ يَفْتَتِحَ سُورَةُ الْفَتْحِ بِقَوْلِهِ: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا عَلَى طَرِيقِ النَّاتِجَةِ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ مُؤَكَّدًا إِعْلَامًا بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَنَّهُ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُؤَكَّدَ لِابْتِهَاجِ النَّفُوسِ الْفَاضِلَةِ بِهِ، وَتَكْذِيبِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، وَهَمَّ أَغْلَبُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

### 2.2: مناسبة فاتحة سورة الفتح مع فاتحة التي قبلها:

في فاتحة السورة أخبرت أن الذين كفروا بالرسالة وصدّوا عن سبيل الله - أن الله أضلَّ أعمالهم أي: أبطلها وأبطل ما عملوا عليه، وأن أعمالهم التي قاموا بها أشقنهم، وما أوصلتهم إلى الذي أرادوا، وما كان هذا إلا بسبب اتّباعهم للباطل، وفي مقابلهم أهل الإيمان الذين اتّبعوا الحقَّ، وفي فاتحة سورة الفتح أخبرت عن الفتح العظيم الذي هو نتيجة الإيمان واتّباع الحق، وأما أهل الباطل فقد أبطل الله أعمالهم كما أخبر في سورة محمد، فهنا في سورة الفتح حقَّ الله لأهل الإيمان أعمالهم، وأعمالهم هذه أسعدتهم وأوصلتهم إلى الذي هو نتيجة الإيمان والعمل الصالح، ألا وهو الفتح المبين، وما يتبعه من سكينة ونصر وهداية، ثم العاقبة يوم القيامة دخول الجنة وإحلال الرضوان عليهم.

### 3.2: مناسبة افتتاحية السورة مع خاتمتها:

بدأت السورة بقوله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا وفي خاتمتها قال: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ قَالَ الْبِقَاعِيُّ: سُورَةُ الْفَتْحِ مَقْصُودُهَا مَدْلُولُ اسْمِهَا الَّذِي يَعْمُ فَتْحُ مَكَّةَ، وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ صَلْحِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَفَتْحِ خَيْبَرَ، وَنَحْوَهُمَا، وَمَا وَقَعَ تَصْدِيقُ الْخَبَرِ بِهِ مِنْ غَلْبِ الرُّومِ عَلَى أَهْلِ فَارَسَ، وَمَا تَفَرَّغَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَقِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ، وَفَتْوحِ

جميع البلاد الذي يَجْمَعُه كُلُّه إظهارُ الدين على الدين كُلِّه، وهذا كُلُّه في غاية الظهور بما نطقَ ابتداءً بها.

قال تعالى في الآية الثالثة : وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا في الآية الثامنة والعشرين قال تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ فَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ هُوَ بِالْفَتْحِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ الظُّهُورُ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ.

كان ابتداءها بالحديث عن الفتح، والوعد بالنصر العزيز، والمغفرة، وتكفير السيئات، وانتهاءها: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا قال البقاعي "ردَّ مقطَعها على مطلعِها بالفتح للنبي صلى الله عليه وسلم، والتسكين العظيم لأصحابه رضي الله عنهم، والرحمة والمغفرة، والفوز العظيم لجميع أتباعه وأنصاره وأشياعه رضي الله تعالى عنهم أجمعين"

### 4.2: مضمون السورة مع مضمون ما قبلها:

تبين لنا أن الله أنزل الكتب وأرسل المرسلين ولم يترك من حيلة ولا وسيلة إلا استعملها لهداية الناس إلى الإيمان ولكن أكثرهم كفروا، وعلمنا أن الله أهلك كل الأمم السابقة بسبب كفرها وما نجا منهم سوى القلة المؤمنة. وبالوصول إلى سورة محمد صرنا على يقين بأن الإيمان أو الكفر هو سبب سعادة الإنسان أو تعاسته في الدنيا والآخرة، لذلك كان لا بد من التمسك بالإيمان والقتال دونه. فإذا فعلنا ذلك يفتح الله علينا فتحاً عظيماً معجزاً يشعُرنا برضا الله عنّا وعن أعمالنا ويريناً في الحقيقة أن الإيمان هو خير لنا ومن أجل سعادتنا. فيزداد بذلك أيماننا وشكرنا لرَبنا وتمسكنا بديننا فيغفر الله لنا ذنوبنا ويتم نعمته علينا فينقذنا من الضلال ويهدينا صراطه المستقيم ويبشرنا بالجنة أعدّها لنا.

وبهذا الفتح المعجز يعلم المنافقين والمشركين يقيناً غضب الله عليهم وطردهم من رحمته ووعيده لهم بجهنم، إن لم يتداركوا أنفسهم ويعودوا إلى الإيمان. وثم بعد ذلك وفي سورة الحجرات تبين أن الدين هو قواعد وقوانين تحفظ لكل فرد من أفراد المجتمع حقوقه، وهنا مكن السعادة.

وعلى المؤمنين العمل معاً للحفاظ على هذه الحقوق لمصلحة الجميع لأن الله حبيب إلى الناس الإيمان وكره إليهم الكفر. وتؤكد الحجرات أن الناس سواسية في نظر الله الذي يرى قلوبهم التي في صدورهم وليس فقط صورهم، وأن العبرة في تطهير باطن الإنسان وليس ظاهره.

• تحدّثت سورة محمد عن القتال، وسورة الفتح عن الفتح الذي يترتّب على القتال.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: لا يخفى وجه حسن وضعها هنا لأن الفتح (في سورة الفتح) بمعنى النصر مرتب على القتال (في سورة محمد).

وقد ورد في الحديث: أنها مبينة لما يفعل به وبالمؤمنين بعد إبهامه في قوله تعالى في الأحقاف: "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" فكانت متصلة بسورة الأحقاف من هذه الجملة.

\* في سورة محمد استفهام استنكاري ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وفي سورة الفتح أخبرت عن الفتح والنصر، وأن دائرة السوء وقعت على الكافرين، وعن ظهور أهل الإيمان عليهم؛ ممّا يدلّ على عدم انتفاعهم بالنظر في عاقبة من قبلهم ﴿دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ في سورة محمد حديث عن الجهاد، وفي سورة الفتح جاء بيان آثار ذلك الجهاد، ألا وهو الفتح؛ قال الغرناطي في البرهان "ارتباط هذه السورة بالتي قبلها واضح من جهات؛ منها: أن سورة القتال لمّا أمروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى: فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَشْعِرُوا بِالْمَعُونَةِ عِنْدَ وَقْعِ الصِّدْقِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ اسْتَدْعَى ذَلِكَ تَشَوُّقَ النُّفُوسِ إِلَى حَالِ الْعَاقِبَةِ، فَعُرِفُوا بِذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا... الآيات، فَعَرَفَ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظِيمِ صُنْعِهِ لَهُ"

• في سورة محمد أخبرت أن من ينصر الله، فالله ناصره لا محالة، وفي الفتح تحقّق وعُدّ الله.

• في سورة محمد جاء الأمر بالاستغفار للنبي ومن معه، وفي الفتح جاء البيان بقبوله.

- في نهاية سورة محمد جاء التحذير بالاستبدال في حال التولي، وفي سورة الفتح جاء النصر والغفران والثناء عليهم؛ مما يدل على عدم توليهم وقيامهم بواجب الإيمان والجهاد.

### 5.2: مناسبة خاتمة الفتح مع فاتحة ما بعدها:

لَمَّا وَصَفَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُصْطَفِينَ مِنْ صَحَابَةِ نَبِيِّهِ وَالْمَخْصُوصِينَ بِفَضِيلَةِ مَشَاهِدَتِهِ وَكَرِيمِ عَشْرَتِهِ، فَقَالَ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فَأَثْنَى سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، وَذَكَرَ وَصْفَهُ تَعَالَى لَهُمْ بِذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهَذِهِ خَصِيصَةٌ انْفَرَدُوا بِمِزْيَةِ تَكْرِيمِهَا ... فَطُوْلِبُوا بِأَدَابِ تَنَاسُبِ عَلِيٍّ إِيْمَانِهِمْ، وَإِنْ اغْتَفَرَ بَعْضُهُ لْغَيْرِهِمْ مَمَّنْ لَيْسَ فِي دَرَجَتِهِمْ ... وَكَأَنَّ قَدْ قِيلَ: لَا تَغْفَلُوا مَا مَنَحَ لَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ لَمْ يَنْلُهَا غَيْرُكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ، فَقَابِلُوهَا بِتَنْزِيهِ أَعْمَالِكُمْ عَنْ أَنْ يُتَوَهَّمُ فِي ظَوَاهِرِهَا أَنَّهَا صَدَرَتْ عَنْ عَدَمِ اكْتِرَافِ فِي الْخَطَابِ، وَسُوءِ قَصْدٍ فِي الْجَوَابِ، وَطَائِفُوا بَيْنَ بَوَاطِنِكُمْ وَظَوَاهِرِكُمْ، وَلِيَكُنْ عَلَنُكُمْ مُنْبَأً بِسَلِيمِ سِرَائِرِكُمْ"

### 6.2: مناسبة مضمون السورة مع ما بعدها:

1- تَحَدَّثَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ عَنِ صَلْحِ الْحَدِيثِيَّةِ الَّذِي كَانَ فَتْحًا مَبِينًا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرَ وَجْهَ الْفَتْحِ لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، بَلْ بَعْضُهُمْ قَالَ: كَيْفَ نُعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا وَنَحْنُ عَلَى حَقٍّ؟! وَمَعَ هَذَا لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُمْ، وَفِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾

2- سُورَةُ الْفَتْحِ تَحَدَّثَتْ عَنِ الْجِهَادِ وَمَا يَتَّبَعُهُ مِنَ نَصْرِ وَفَتْوحَاتٍ، وَمِنْ ثَمَّ دَخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا؛ مِمَّا يَعْنِي تَكُونُ مَجْتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ كَبِيرٍ، وَطَبِيعَةَ الْاجْتِمَاعِ قَدْ يَحْصُلُ فِيهِ مَهَارِشَاتٌ وَاخْتِلَافٌ قَدْ يَصِلُ إِلَى الْقِتَالِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَفِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ بَيَّنَّتِ السَّبِيلَ فِي حَالِ حُدُوثِ ذَلِكَ، وَهُوَ الصَّلْحُ بَيْنَهُمْ.

3- فِي سُورَةِ الْفَتْحِ تَحَدَّثَتْ عَنِ النِّفَاقِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَهَذَا الصَّنْفُ يُبْطِنُ مَا لَا يُظْهِرُ، وَقَدْ يَعْمَلُ عَلَى الْإِفْسَادِ الَّذِي مِنْهُ نَشْرُ الشَّائِعَاتِ، وَلِهَذَا وُضِعَ فِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ مِنْهُجُ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَخْبَارِ؛ إِذْ بِهِ يَكُونُ تَمَاسُكُ الْمَجْتَمَعِ الدَّاخِلِيِّ.

4- النصر والفتوحات التي حصلت بعد الفتح، نجم عنها دخول الناس أفواجا في دين الله، وأهل الإسلام أخوة إيمان، وبالتالي سيحصل مزج وتداخل بين أفراد المجتمع الكبير، وفي سورة الحجرات قال ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ فأرشد بهذا إلى التعارف، وهذا بدوره يمتن العلاقات بين الأفراد، والميزان في الكرامة بين الأفراد هو التقوى.

5- في سورة الفتح بيئت أنه سيكون نصر، وسيدخل الناس في دين الله أفواجا، وبعض من يدخل في الدين قد يدخل فيه من غير قناعة تامة، وما دخولهم إذا إلا بسبب تمكين الله للمؤمنين؛ مما يترتب عليه إيمان ركيك لا صلابة أو قناعة فيه، وقد يخالطه الرب، وفي سورة الحجرات تأكيد وبيان لحقيقة الإيمان الذي يريده الله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ .

### 7.2: مناسبة خاتمة الفتح مع خاتمة الحجرات:

لما ختمت سورة الفتح بالحديث عن النبي والذين معه، وفصلت ببيان صفاتهم - مما يدل على إيمانهم - التي منها الركوع والسجود، وأثر هذا في وجوههم، فهو من سيماهم، وهذه الصفات مطابقة لما جاء في الكُتب السابقة، ووعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم جزاء منه سبحانه، وهو غني عنهم، وفي ختام الحجرات جاء وصف أهل الإيمان الحق الذين يُصدق عليهم، وهو ما جاء في نهاية الفتح، وجاءت المنة منه سبحانه عليهم بهذا الإيمان، ونبتهم على علم الله، وإحاطته بالغيب، ورؤيته لما يعملون.

### 3. السياقات الواردة في سورة الفتح:

أثبتت الدراسات القرآنية التي جعلت كتاب الله المنزل ميدانا للبحث والاستقراء أن النص القرآني ليس محكوماً بأي من القيود التي اختطتها الأنامل البشرية، فهو نص يربو على كل القيود والمعلقات والمخصصات مهما أريد لها أن تدرس النص القرآني لأجل القرآن، فحاکمية النص القرآني على التععيد النحوي ينبغي أن توضع نصب أعين الدارسين كي يدخلوا حرم الدراسة القرآنية في المجال اللغوي، إذ ليس لأحد أن يفرض قيوداً مسبقة بمعيارية بشرية ثم يعمل على إسقاطها في النص القرآني، عاملاً على لي أعناق النصوص القرآنية لتأتي

موائمة للقاعدة النحوية، وهذا في حقيقته تحكم بالنص القرآني وإنزاله منزلة الكلام البشري، لا يختلف عن أي كلام صدر من لسان عربي في حالة معينة من الشعور البشري.

ومن هنا صار لزاماً أن يُدرس النص القرآني بوصفه نصاً دينياً محكماً من لدن عليّ حكيم، ولذا لا نتعبد بآراء النحاة ونصِّفُ كثيراً من الدلالات والتوجيهات النحوية على وفق اجتهاداتهم وآرائهم المتشددة الواصفة لبعض المخالفات النحوية القرآنية بالشذوذ متناسين مقامه الشريف وسياقه المحكم وأسلوبه المعجز، فحينما يعجزون عن إدراك الدلالات المقصودة يتأولون ويقدرّون.

ذكرت الكثير من الروايات الشريفة فضائل سورة الفتح المباركة لما لها من المكانة الكبيرة التي تتعلق بمستقبل الأمة الإسلامية، فمكانية النزول المبارك للسورة الشريفة يعطي للمتلقي ما تحمله هذه السورة من الشحن الدلالي الكبير المرتبط بمكانة الدولة الإسلامية وديمومتها، كما سيتضح ذلك جلياً في بحث سياق الموقف، وقد أشارت الروايات إلى هذه المكانة بشكل صريح، وكما يأتي:

1. عن أبي عبد الله بن بكير عن أبيه قال: قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) فإنه إذا كان ممن يضمن قراءتها نادى منادٍ يوم القيامة حتى يسمع الخلائق أنت من عبادي المخلصين ألقوه بالصالحين.

2. عن النبي صلى الله عليه وسلم "من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد مع محمد فتح مكة".

3. عن النبي صلى الله عليه وسلم " لقد أنزلت عليّ سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت، وصد هدينا، وردّ رجلاً من المؤمنين كانا خرجا إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله عليهم، وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن

أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبأوامره منا.

### 1.3. سياق الموقف:

تبتني العملية الخطابية الإبداعية على أثارها الثلاث التي تختل بتخطيها العملية الخطابية سواء أكانت إنشاءً أم إخباراً، لأن التخاطب يعني القصد والقصد يعني إرادة الإيصال وهذه الإرادة القصدية تعتمد ركائز التخاطب الكلامي، وهذه الركائز هي المبدع والمتلقي والنص الإبداعي كما يحلو للدرس الأسلوبي أن يسميه، وليس لنا التضحية بواحد من هذه الركائز الثلاث ما لم نقل بموت المؤلف ليبقى النص والمتلقي ممثلين للعملية الخطابية.

ويمثل النص الإبداعي أهم ركيزة من بين أخويه المتبقين؛ لأن الخطاب ينعدم بانعدامه ولذا فهو محور التخاطب وآليته الأساس، وهو الذي تتمحور الدراسة اللسانية والأسلوبية عنده لتجد ما يمكن أن يتوصل إليه من مداليل تسهم في فهم النصوص الإبداعية ولاسيما في الخطاب القرآني ذي الخصائص الفردية غير المثناة.

فالدلالة السياقية التي تتيحها الآيات القرآنية تجعلنا نستجدي كل ما من شأنه أن يضع بين أيدينا الفهم المتوخى للنص القرآني بعد توفير كافة القرائن السياقية النحوية، للوصول إلى الدلالة التصديقية كما يسميها علماء الأصول.

وهنا يأتي سياق الموقف كقرينة من قرائن السياق اللغوي للوقوف على مداليل النص القرآني، ونعني بسياق الموقف هو دراسة كل ما يتعلق بأطراف الخطاب النصي كزمان صدور النص، ومكانه والظروف التي وراء النص، ودراسة الظروف التي دعت المبدع أو المتكلم إلى إبراز نصه، وتحليل شخصيته على وفق الأحداث النفسية والسياسية والاجتماعية التي اكتتفت شخصية المبدع ذلك؛ لأن النص جزء من مبدعه، فيتعين دراسته من دون أن يُقطع عن صاحب النص؛ لأن النص حاكٍ بالضرورة عن مبدعه، فيدرس كل من النص وصاحبه باتجاه واحد.

وسياق الموقف في سورة الفتح المباركة يتجلى في الظروف الدينية والسياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، كي تأتي هذه الآيات المباركة لتحمل معها البشارة بالنصر وغفران الذنوب للنبي صلى الله عليه وسلم وإنزال النعمة والإخبار بالمغيبات، إن رؤية النبي ستتحقق بعد صلح الحديبية، وهذا يعني أن ندرس الأسباب والمعطيات التي كانت وراء النزول المبارك لسورة الفتح الشريفة لأن ذلك سيعطينا المفاتيح الدلالية لفهم السياقات النصية لها.

نزلت سورة الفتح في السنة السادسة للهجرة وذلك بعد صلح الحديبية، والحديبية قرية تقع على مقربة من مكة المكرمة ولا تبعد عنها أكثر من عشرين كيلومترًا، والفتح الذي تعنيه السورة المباركة مختلف فيه لدى المفسرين بين فتح مكة، وصلح الحديبية، وانتشار الإسلام وغيرها من الآراء التي قالها المفسرون، ومهما يكن من أمر يمكن حمل الآراء كلها على معنى الفتح بعد دراسة الملابسات التي كانت وراء نزول السورة المباركة، ويمكن أن تلخص بالآتي:

عزم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة للهجرة على الذهاب إلى العمرة بمعية ألف وأربعمائة من الصحابة بعدما امتنع بعض المهاجرين والأنصار عن الذهاب خوفًا من الموت، ولما وصل بهم إلى الحديبية تهيأت قريش لقتالهم لكنها فوجئت أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يرتدون إحرام العمرة، لذا عدلت عن نية القتال، لكنهم منعوا النبي صلى الله عليه وسلم من أن يدخل مكة في هذا العام بعدما وقّعوا معه وثيقة صلح، ليقوم النبي صلى الله عليه وسلم على إثرها بخلق شعره الطاهر في الحديبية وينحر هديه، وقد أمر المسلمين أن يفعلوا كما فعل، لكنهم استجابوا لطلبه كارهين أن يعودوا من دون أن يعتمروا ظنًا منهم أن وثيقة الصلح إنما هي امتهان لكرامة المسلمين وأنها خلاف الرؤية التي رآها في المنام، والتي تحكي دخول المسلمين إلى مكة معتمرين، ولذا عادوا إلى المدينة وقلوبهم تمتلئ غيظًا لكن النبي صلى الله عليه وسلم بشرهم أن فتحًا سيتحقق بعد ذلك، لأن سورة الفتح نزلت عليه وأكدت ذلك الفتح المبين.

وهنا يتجلى الإعجاز الإلهي حين يخبر بالمغيبات عما ستؤول إليه ظروف المسلمين، وأنهم سيكونون أفضل حالًا من قريش حين يدخلون مكة فاتحين بعد سنتين من صلح

الحديبية، ولعل اللافت للنظر في سورة الفتح فضلاً عن إخبارها بالمغيبات هو إبقاؤها على معنى الفتح المبين غامضاً بلا بيان له، كما أن السُّنة المطهرة لم تعطِ المعنى الدقيق والجلي للفتح القرآني.

### 2.3 من السياق النحوي:

ينطلق النص القرآني في العملية الإبلغية من خلال آليات التوظيف القرآني لبيان ما للقرآن من بواعث ومزايا وأساليب بيانية إعجازية لا تقف عند حدود الشكل اللغوي أو المعطى الخطابي، لكننا نجد أنفسنا ملزمين بالوقوف عند حدود آليات الخطاب القرآني في المجال اللغوي كي يتوصل به إلى المداليل السياقية التي تكشفها تلك النصوص الإلهية كواحد من مفردات الدرس اللساني الحديث.

ولعل استنطاق النص القرآني سياقياً نحويًا في سورة الفتح المباركة يُجلي للمتلقي هذه الخصائص والمميزات ذات الفردة في النص القرآني، فهو نص يأبى القيد الزمني ويتحدى الوقوف الدلالي الواحد لما له من قدرة على التنشيط والتطويع لإرادة المتلقي الواعي والمستمع المصغي.

فالسباق القرآني في السورة ذاتها يتوخى توفير وتوظيف كل آليات الفردة القرآنية ليتمكن النص من هيمنة التخصيب القرآني للشحن التأثيري لدى المتلقي المصغي، وهذا المعنى يبدو جلياً في الصيغ الفعلية المستعملة في سياقاته بكثرة، إذ تظهر فيها ظاهرة العدول أو الانحراف السياقي الزمني عن زمن الصيغ الصرفية كي تلبس بنيتها الصرفية زمناً نحويًا سياقياً تركيبياً يفرضه ويقصده السياق القرآني، لأن النص القرآني لا يخضع للزمن الصرفي الذي قال به النحاة، بل السياق بمعية القرائن النحوية هي التي تحكم الفكرة الزمنية فليس للدلالة الوضعية الإفرادية أن تعطي الصيغة الصرفية الزمن المقرر في النحو المعياري.

فالسورة المباركة تبتدئ بقوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أي أن الفتح المقصود من الآية الشريفة لم يقع بعد إن قيل أنه فتح مكة، والحال أن فتح مكة وقع في السنة الثامنة

للهجرة في حين أن السورة نزلت في السنة السادسة للهجرة، ومع هذا الاختلاف الزمني جاء الفعل الماضي (فتحنا) معبراً عن صيغة الزمن الماضي الصرفية التي يدل عليها بالدلالة الوضعية، كي يلبس الصيغة الصرفية الفكرة الزمنية السياقية لما للسياق من الهيمنة على مداليل الصيغ الصرفية وهذا الأمر يتناسب مع الدرس اللغوي الحديث في دراسة ظاهرة التزامن النحوي لاسيما أن القرآن الكريم يستعمل العدول أو الانحراف الزمني حين يتحدث عن وقائع وأحداث ستتحقق في المستقبل لا محالة، فيقع الحديث عنها بالقرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي للدلالة على حتمية وقوعها كالإخبار عن تحقق رؤية النبي في فتح مكة، وأن هذا الفتح (أمرٌ لا دافع له، واقِعٌ لا رافع له).

وما دمنا في الصيغ الفعلية للسورة المباركة أرى أن أشير إلى الصيغة الفعلية الماضية وهي الفعل (كان) الناسخة، إذ ورد استعمالها في سورة الفتح بشكل متكرر، وكما في الآيات الشريفة:

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الفتح:4.

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ الفتح:7، 19.

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الفتح:14.

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الفتح:24.

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الفتح:26.

وقد جاءت صيغة الفعل (كان) - أغلب الأحيان - مسندة إلى الذات الإلهية المقدسة، وهنا أود الإشارة إلى مسألة عقائدية مهمة كان الأصوليون قد تناولوها من قبل، وهي إسناد الفعل الماضي (كان) إلى الذات المقدسة، فلو قلنا أن الفعل هنا يدل على الزمن الماضي فينبغي لزماً عدم اتصاف الذات الإلهية بالعلم والحكمة في قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وذلك في الزمن الحاضر والمستقبل لأن ماضوية الصيغة الصرفية تمنع هذا الاتصاف في الزمنين المذكورين، ومن هنا وخشية الوقوع بهذا المحذور العقائدي المخيف ذهب الأصوليون، وبعض علماء اللغة، إلى خلو الفعل (كان) من الدلالة الزمنية حين يسند

إلى الذات المقدسة ولا يحمل غير دلالة الاتصاف بالحدث غير المتزامن ولهذا سميت عندهم بـ(كان) الشأنية ، إذ ليس لها غير شأنية اتصاف الذات الإلهية بالحدث الموصوف بالصفة الدائمة، حين يكون خبر "كان" إحدى صفات الله سبحانه بلا دلالة زمنية البتة، لاسيما مع الرؤية العقائدية التي يتبناها الفكر الديني في كون الذات الإلهية ليست من الوجودات التي تطرأ عليها عوامل الزمكان، لذا يجد الباحث نفسه ملزماً بقبول فكرة خلو الفعل (كان) من الزمن حين يكون مسنداً إلى الذات المقدسة، لا ما يراه بعض اللغويين في أن الفعل (كان) يدل على الزمن المطلق بلا تقييد جهوي ذلك لترفع الذات الإلهية على الفكرة الزمنية مهما امتد أمدها.

وهنا نكتة بلاغية تتعلق بحرف الجر (من) حين يدل على التبعض وذلك في قوله سبحانه ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ حيث أرادت الآية تقييد عموم الإطلاق في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" الفتح: 29 ، ممن كان يتظاهر (بظاهر الإيمان إذ كانوا يتظاهرون بما وصف به المؤمنون فجاء هنا بالوعد محرراً (مخرجاً) منه من كان يتظاهر بالإيمان ويلزق بالمؤمنين وليس منهم، فقول: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ" فجاء بقوله منهم ليحرز هذا المعنى الجليل فمن على هذا للتبعض).

بعد الخوض في السياق القرآني لسورة الفتح المباركة يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

- 1- حملت السورة المباركة الإخبار والتمهيد لمستقبل الأمة الإسلامية متناغمة مع الرؤيا التي رآها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في منامه الشريف.
- 2- لم ينظر النص القرآني إلى الظرف الآني الذي عاشه المسلمون حينما تحدثت عن البشارة الإلهية بل صار ينظر إلى ما سيكون ويتحقق قبل المسلمون بذلك أو لم يقبلوا.
- 3- النص القرآني يعتمد السياق بوصفه كبرى القرائن على بيان معاني الألفاظ ودلالاتها.
- 4- لا تخضع الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم للتقيد النحوي في تزمين الصيغة الصرفية بل السياق القرآني ألبس الصيغة الزمن القرآني الجديد.

1. أفقد النص القرآني بالإرادة الاستعمالية الزمن الصرفي لصيغة الفعل (كان) وجعلها تعطي دلالة وصفية بلا مدلول زمني.

4. النمو الموضوعي في سورة الفتح :

موضوعات السورة باعتبار ترتيب آياتها يمكن تقسيمها إلى نصفين متساويين ثم خاتمة؛ الأول في الآيات (1-14) يتعلق بتقرير ودلائل تثبت أن أحداث فتح صلح الحديبية هو بداية تمام النعمة بالمغفرة والهداية والفضل والنصر للمؤمنين، وبداية نزول غضب الله وعذابه على الكافرين والمنافقين. والآخر في الآيات (15-28) عن بشارات الله للمؤمنين وكأن صلح الحديبية هو بداية الفتوحات العظيمة على المسلمين وانتشار الخير بينهم. ثم خاتمة في الآية (29) تبين كيف يكون الحال المثالي لوجود الناس في الدنيا، التي سعت رسالة السماء لإيصال الناس إليه.

الآيات (1-3) فتح مغفرة وهداية إلى الصراط المستقيم ونصر: يخبر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ومن آمن معه): بأنه فتح له فتحاً مبيناً لا خفاء فيه، وقضى بنصره على أعدائه إلى النهاية بسبب طاعته وخضوعه، نصراً عزيزاً لا يتبعه ذل، وذلك ليشكر ربه، ويحمده على نعمته بقضائه له عليهم، وفتح ما فتح له، وليسبحه ويستغفره، فيغفر له بفعاله ذلك ربه: ما تقدم من ذنبه قبل فتحه له ما فتح، وما تأخر بعد فتحه له، ذلك ما شكره واستغفره.

الآيات (4-7) إنزال السكينة في قلوب المؤمنين والفتح عليهم: هذه الآيات هي امتداد وتأكيد للمعنى المذكور في المقدمة حيث مهّد هذا الفتح "بصلح الحديبية" لكل ما بعده من الفتوحات التي أشارت إليها السورة. وأن الله بإنزاله السكينة في قلوب المؤمنين يزيدهم إيماناً واتباعاً، ويفتح عليهم به الفوز على الأعداء في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

الآيات (8-10) أرسل الله رسولاً مبشراً ونذيراً يبلغ بأنه يثيب من آمن وعاهد الله واتبع دينه، ويعاقب من كفر وتخلف عن الطاعة والاتباع فإله وحده هو المالك المتصرف في هذا الكون.

الله سبحانه وتعالى ابتلى عباده بالتكليف ليثيب من آمن وأطاع ويعاقب من كفر وعصى، السكينة هي جند من جنود الله ينزلها في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فيفوزوا في الدنيا والآخرة، أي يفوزوا بأن يدخلهم الجنة ويكفر سيئاتهم، وبنفس الوقت يعذب على أيديهم المنافقين والمشركين الذين غضب الله عليهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً. فالمؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم جند من جنود الله الذين يعذب بهم أعداءه وأعداء دينه في الدنيا.

هياً الله هذه الأمة لتكون من جنوده يقيم بهم العدل ويهلك بهم أعداءه في الدنيا. وهذه نعمة عظيمة تميزت بها هذه الأمة، على غير حال الأمم السابقة الذين كان يعذبهم الله بنفسه: إما بالغرق أو الخسف أو الريح أو غيره. ومن وسائل إعداده الله لهذه الأمة وتجهيزهم لهذه المهمة كما ورد في الآيات ما يلي:

- أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم شاهداً عليهم ومبشراً ونذيراً.

- وفقهم لأن يؤمنوا بالله ورسوله وينصروه ويعظموه، ويسبحوا الله بكرة وأصيلاً.

- وفقهم لبيابيعوا الله ورسوله على السمع والطاعة.

- كما بشرهم فيما سيأتي من الآيات (بأنه رضي عنهم بسبب بيعتهم، وأثابهم فتحاً قريباً، ووعدهم مغنم كثيرة، وكف أيدي الناس عنهم، وعند اللقاء يتولى أعداءهم الأدبار، ويعذب الكفار بأيديهم، ومغفرة وأجر عظيم).

الآيات (11-13) الكافرين: خسارة المتخلفون عن طاعة الله ورسوله، أن أعد لهم عذاباً أليماً في الدنيا وسعيراً في الآخرة.

المنافقون اقتترفوا جرماً وخطأً عظيماً حين تخلفوا عن طاعة الله ورسوله واقتترفوا جرماً آخر بأن اختلقوا الأعذار بالانشغال بالدنيا عن الآخرة، وبظنهم السوء بالله ورسوله والمؤمنين: وبأن المؤمنون سيستأصلون بالقتل ولن يرجعوا إلى أهلهم أبداً. وقد أعد الله لمن لا يؤمن به وبرسوله عذاباً أليماً في الدنيا وسعيراً في الآخرة.

الآية (14) : بين تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السماوات والأرض، وهو غني عن عبادته، وإنما ابتلاهم بالتكليف ليثيب من آمن ويعاقب من كفر وعصى.

الآيات (15-17) : تتحدث الآيات عن المستقبل وما سيحدث بعد صلح الحديبية، وهو أن المخلفون أرادوا الدنيا والمغانم لقلّة فهمهم، بينما يريد الله من المؤمنين نصر دينه؛ من أطاع فله الأجر الحسن في الدنيا وجنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة، ومن تولّى عوقب وعذب عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة. ولا حرج على من يتخلف بسبب عذر من عمى أو عرج أو مرض.

الآيات (18-21): هذه السورة فيها بشارات لكل المؤمنين، فالذين بايعوا وعلم الله ما في قلوبهم وصدق نيّتهم فرضي عنهم وأعانهم على الوفاء بعهدهم ثمّ كافأهم.

الآيات (18-28) بشارات وفتوحات الله على المؤمنين:

لقد فتح الله على المؤمنين بصلح الحديبية ليغفر لهم ذنوبهم بسبب طاعتهم وبيعتهم، ثم لينصرهم ليعز بهم دينه الآيات (3-1)؛ ثم أنزل بعد الصلح السكينة في قلوبهم ليزداد إيمانهم وطاعتهم، ووعدهم على ذلك بالنصر وإذلال عدوهم على أيديهم لأنهم بايعوا رسول الله الآيات (4-10)؛ وبعد هذا الفتح والسكينة في قلوبهم والوعد بالنصر، صاروا مستعدين لأن يبشرهم الله هنا ببشارات عظيمة أهمها رضاه عنهم، وهذا الرضى هو غاية مراد المؤمن ثم المغانم الكثيرة وهي بشارة بأنه سيذلل لهم الحياة والرزق لكي تزداد طاعتهم فتزداد عليهم الفتوحات والرضى والبشارات، كما يلي:

ت رضي الله عنهم بسبب بيعتهم،

فأنزل السكينة عليهم،

- وأثابهم فتحاً قريباً، وعجل لهم مغانم كثيرة يأخذونها،

- ووعدهم مغانم أخرى كثيرة،

- وكفّ أيدي الناس عنهم، لتكون آية للمؤمنين،

- ويهديهم صراطاً مستقيماً،
- وعند اللقاء يولي أعداءهم الأدبار، فلا ناصر لهم،
- كل ذلك سنة ثابتة لا تتبدل،
- يكف أيدي الكفار عن المؤمنين بعد أن ينصر المؤمنين
- وأن يعذب الكفار بأيديهم،
- دخول المسجد الحرام آمنين لا يخافون،
- إظهار الدين على الدين كله.

### الآية (29) الخاتمة والبشارة النهائية:

ثمار طاعة الله ورسوله هو الرحمة بين المؤمنين والشدة على الكافرين، مثلهم كالزرع الحسن يعجب الزراع ويغيظ الكفار، ووعدهم من الله بالمغفرة والأجر العظيم.

هذه الآية هي أيضاً آية فتح مثل مقدمة السورة لأنها تمد المؤمن بمشاعر لا توصف من الأمن والطمأنينة على الحاضر والمستقبل وإلى حسن حظهم بتوفيق الله لهم لما فيه صلاح كل شأنهم، يصفهم ربهم بأروع الأوصاف وأكملها وأجملها من حيث الشدة على الكفار، والتراحم فيما بينهم وحسن السمات والنضج العقلي وحسن التصرف والاختيار والصلاح والقوة والتأزر يشد بعضهم بعضاً، وعلى وعد الله لهم بالمغفرة والأجر العظيم:

يخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب، من صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، جعلهم الله كذلك كثيرون الصلاة لا يرجون إلا فضل الله بدخول الجنة وسعة الرزق في الدنيا ورضوانه عنهم، حسنوا الوجوه لحسن سريرتهم ولكثرة صلاتهم، عظم الله خبرهم على سائر الأمم في الكتب المتقدمة، تربوا ونضجوا على حب الخير وعمل الصالحات، آزرنا نبيهم وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء استغلظ واستقام مع الزرع فقواه، ليغيظ الله بهم الكفار (أي بشدتهم واستقامتهم وبحسنهم وتراحمهم وتأزرهم ونصر الله لهم).

نلاحظ من خلال الآيات تطور الموضوع في سورة الفتح من خلال اتحاد كل القضايا في السورة ، فكل آية تمد يدها لأختها وهذا هو دليل التماسك الدلالي في السورة



خاتمة

### خاتمة:

في نهاية هذا البحث نخلص إلى أن الانسجام في سورة الفتح تحقق بفضل منظومة علائقية متعددة الجوانب استثمرت كل ما من شأنه أن يسهم في اتساق وانسجام السورة، وقد توصل البحث إلى نتائج نوجزها على النحو الآتي وهي:

- إن تجاوز اللسانيات لعتبة الجملة كان نقلة نوعية وواسعة نحو تفسير وتعميد أفضل لعمل اللغة باتفاق المحدثين، وهذا التجاوز عامل مهم في التفكير على مستوى إدراك الظاهرة اللسانية في علاقاتها الصحيحة بالإدراك البشري، الذي يتصرف وفق مخططات تضمن له الحفاظ على المعلومات في الذاكرة وفق مبدأ الجزء والكل.

- تقاطع بعض نتائج دراسات العرب والغرب بما عرفه التراث العربي من قبل قرون عديدة وهذا ما منحنا مبررا للاستفادة من الأبحاث العربية.

- يتحقق الاتساق في النص بالنظر في الأدوات الشكلية والروابط النصية، التي تساهم في تعالق الأجزاء والوحدات المختلفة للنص، حتى تمنح النص نوعا من التلاحم والتماسك عن طريق أدوات معينة هي: الإحالة، والربط عن طريق العطف والحذف والتكرار.

- في حين يتحقق الانسجام عن طريق مجموعة من العلاقات الخفية الموجودة داخل النص، وهذا ما يجعل الباحث يعتمد على عناصر غير نصية، تساعد على كشف هذا الربط من خلال السياق والتغريض والمناسبة والبنية الخطابية.

- كانت هناك أدوات عدة ساهمت في التماسك الشكلي لسورة الفتح أبرزها الترابط على مستوى السورة.

- كما أن عنصر التكرار لا يقل أهمية عن باقي العنار، فقد جعل للسورة بعض التميز والخصوصية، حيث ساهم في اتساق وحداتها.
- أبرزنا العلاقات الدلالية للسورة عن طريق آيات هي: السياق النصي للسورة، والسياق اللغوي وسياق الموقف، الذي حقق جزءا من تماسك السورة من خلال الكشف عن البنية الخطابية.
- كذلك عنصر التغميض، والذي يبين لنا العلاقة بين العنوان ومحتوى السورة وموضوعاتها.
- كان لعنصر المناسبة الأهمية الكبرى في تحقيق التماسك الدلالي النصي، وهو ما كشف عن انسجام السورة.
- كان للربط بين القضايا داخل السورة الأثر البارز في إبراز انسجام السورة وتماسكها، من خلال العلاقة بين موضوعات السورة، ومن خلال التتابع وتوالي الوقائع فيها.
- وغيرها من الأدوات التي أكدت لنا التماسك النصي للسورة في ذاتها ومع غيرها من السور القرآنية.
- فمن خلال تحليلنا للسورة تبين أن النص القرآني يسلك طرقا منطقية متعدد لضمان انسجام عالمه الدلالي، الذي لا نجد له مثيلا في غيره من النصوص الأدبية أو الشعرية، والتخطيط بما يوافق إدراك الإنسان للرسالة اللغوية في بنى صغرى وبنية شاملة كبرى وبطرق إقناع مباشرة وغير مباشرة كانت أدوات إعجاز خالدة في هذا النص.



# قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المصادر والمراجع.

### قائمة المراجع التي وقعت عليها الإحالة في البحث:

- 1- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، دار الفجر الإسلامي، ط1، 1440هـ-2018م
- 2- أبوبكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1394، هـ- 1974م، ج3.
- 3- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- 4- إبراهيم محمود خليل، اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.
- 5- [ابن جرير الطبري](#)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.
- 6- أبو محمد بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، -1422
- 7- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي لكبير و آخرون، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا، دار المعرفة، القاهرة، 1919.
- 8- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي - القاهرة - م ج1، ط5، 1985.
- 9- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة
- 10- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، القاهرة، 1418هـ-1998م 1998.
- 11- الشيخ محمد رضا، أصول الفقه، ج1، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط2، 1990.

- 12- الفيروز أبادي ( مجد الدين محمد بن يعقوب )، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ( د ط ) ، 1999 ، مادة (س ج م).
- 13- الأزهر الزناد، نسيج النص، فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.
- 14- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، القاهرة، ط1، 1991.
- 15- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، دط، دس، ص46.
- 16- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)، أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1.
- 17- الزمخشري جار الله، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت ط3، 1407 هـ .
- 18- الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير الناشر، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 هـ
- 19- براون ويول، تحليل الخطاب، تحقيق: محمد لطفي الزليطني- منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض 1994.
- 20- تمام حسان و اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2001.
- 21- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- 22- جلال السُّيُوطِي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية – مصر، ج1.

- 23- جمال حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1 ، موقع الألوكة، 2005.
- 24- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدار رابطة إبداع الثقافية، حيدرة، الجزائر، ط1، دت.
- 25- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009.
- 26- جميل حمداوي، السيميوطيقا و العنونة، عالم الفكر، الكويت، مج25، ع3، 1997.
- 27- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- 28- جوليا كريستيفا، علم النص، تر : فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997.
- 29- خلود العموش، الخطاب القرآني – دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، ط 1 ، 1429 هـ / 2008.
- 30- دومينيك مانجو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر : محمد يحييت ، ط1 ، منشورات الاختلاف الجزائر، 2008.
- 31- رشيد عزي، إشكاليات المصطلح في المؤلفات العربية، تحليل الخطاب أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير جامعة بويرة 2009/2008.
- 32- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1.
- 33- روبرت دييواند ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، الهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكتب، مصر، القاهرة، 1413هـ – 1992 م

- 34- روبرت دي بوجراندي، النص والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسان ، الناشر عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998.
- 35- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 16، عدد1، 1997.
- 36- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص ،المفاهيم والاتجاهات، الشركة لمصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1997.
- 37- سعيد يقطين، تحليل الروائي (الزمن، السرد، التبيين)، ط3، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997 .
- 38- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج26، دار الشروق، ط 34، 2004.
- 39- شوقي ضيف وآخرون، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 2004.
- 40- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ط1، دار قباء للنشر والتوزيع والطبع، مصر، 2000.
- 41- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ط2 ، إفريقيا الشرق، المغرب.
- 42- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (164) صفر 1413هـ، أغسطس 1992م.
- 43- عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط) ، 2005.
- 44- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981م.
- 45- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009.

- 46- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط، 1420 هـ
- 47- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم.
- 48- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2014م
- 49- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427 - 2006.
- 50- محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد بن عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- 51- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- 52- محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناس في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
- 53- محمد مفتاح، دينامية النص تنظير و إنجاز، المركز الثقافي العربي، ط.د.ت.
- 54- محمد يونس علي مقدمة/ مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
- 55- منذر عياشي، النص ممارساته و تجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع/96-97، 1992.
- 56- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، 2005.

## المصادر والمراجع

57- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، 2008.

58- نوال بومعزة، محاضرات في تحليل الخطاب، مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الثانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة 2012/2013.

59- يحي عبابنة، أمانة الزعبي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29 ، العدد (2+1) 2013.

there are four ways by which cohesion is created in English



## المحتوى:

3	شكر و عرفان
4	إهداء
6	خطة البحث
أ - ت	المقدمة
24 - 12	المدخل
13 - 12	1. إرهابات البحث النصي في التراث العربي
14 - 13	2. مفهوم اللسانيات النصية
15-14	1.2 النص (Text)
16-15	1.3 الاتساق (Cohésion)
17-16	3.3 الانسجام (Cohérence)

19 – 18.....	1.3.3 الجاحظ
21 – 19 .....	2.3.3 الجرجاني
23-22.....	5.السياق (Contexte)
24-23.....	6.القصدية (Intentionalié)
48-27..	الفصل الأول: حدود النص وعلاقاته وأدواته من منظور لسانيات النص
31- 27 .....	المبحث الأول: النص مفاهيمه ومجاله
29 -27 .....	1. مفهوم النص
29 .....	2. تعريف لسانيات النص
30.....	3. مفهوم الخطاب
31-30.....	4. الفرق بين النص والخطاب
31.....	5. أهداف لسانيات النص
37-33.....	المبحث الثاني: الاتساق مفاهيمه وأدواته
32-31 .....	1. مفهوم الاتساق
36- 34 .....	2. أدوات الاتساق

المبحث الثالث: الانسجام النصي: مفاهيمه، أدواته، سياقاته ..... 38 - 46

1. مفهوم الانسجام النصي : (Coherence) ..... 39-41

2. أدوات الانسجام النصي ..... 41 - 46

الفصل الثاني: التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الاتساق والانسجام ..... 49-81

المبحث الأول : بين يدي السورة..... 49-51

1. اسم السورة..... 51

2. سبب نزولها ..... 51- 52

3. المقاصد العامة للسورة ..... 52- 53

4. الجو العام للسورة ..... 53

المبحث الثاني : التحليل النصي لسورة الفتح من خلال أدوات الاتساق ..... 53-58

1. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال العطف..... 55-56

2. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال التكرار..... 56

3. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الإحالة ..... 56- 60

4. التحليل النصي لسورة الفتح من خلال الحذف..... 61-62

---

77 - 60.....	المبحث الثالث: الانسجام في سورة الفتح
65 - 63.....	1. التفرغ
71 - 63.....	2. آية المناسبة والكشف عن انسجام سورة الفتح
78 - 71 .....	3. السياقات الواردة في سورة الفتح
81-78.....	4. النمو الموضوعي في سورة الفتح
80-79.....	الخاتمة
87-82.....	قائمة المصادر والمراجع
92-89.....	المحتوى

## الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استثمار بعض ما توصلت إليه الدراسات النقدية في مجال تحليل النصوص ومعالجتها، لا سيما الآليات التي أنتجتها اللسانيات النصية، من خلال دراسة بنيات النصوص وكيفيات اشتغالها؛ من منطلق أن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل إنما هو وحدة لغوية ميزتها الأساسية الاتساق والانسجام.

وتتخذ من سورة الفتح وهي من النص القرآني المبارك ميدانا، فتحاول(الدراسة) أن تستبين اسهام الانسجام في تحقيق التماسك النصي في السورة، ثم ابراز المضامين الدلالية والأشكال اللغوية التعبيرية فيها على، اعتبار أن النص القرآني المبارك من النصوص التي تستهوي الباحثين للخوض فيه، لكونه يهدف إلى إحداث أثر معتدل في المتلقي، بالاستحواذ على وجدانه واستدراجه إلى الاقتناع بقيمة دينية أو تبني وجهة أخلاقية.

## Summary:

This study aims to invest some of the findings of critical studies in the field of text analysis and processing, especially the mechanisms produced by textual linguistics, by studying the structures of texts and the modalities of their operation; In the sense that the text is not just a sequence of a group of sentences, but it is a linguistic unit whose main feature is consistency and harmony.

It is taken from Surat Al-Fath, which is one of the blessed Qur'anic text as a field, so (the study) tries to clarify the contribution of harmony in achieving textual coherence in the surah, then highlighting the semantic contents and expressive linguistic forms in it, considering that the blessed Qur'anic text is one of the texts that attract researchers to delve into it, because it aims to have a moderate effect on the recipient, by capturing his conscience and luring him to the conviction of a religious value or the adoption of a moral point of view.